الفصل الثالث

تحديات أمام الثقافة الإسلامية
التيارات المعادية

ويشتمل على المباحث الآتية :

١ ـ النصرانية

٢ ـ اليهودية

٣ ـ الشيوعية

٤ ـ التغريب

كيف نواجه بثقافتنا الإسلامية التحديات المعاصرة

إن من الحقائق الثابتة ـ على مر العصور ـ اختلاف العقائد والأديان ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله :

﴿ كان النَّاسُ أمَّـةً واحِدَةً فَبَعَث الله النَّبيِّين مُبَشّرين وَمُنذِرين وأنزلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بالحَقِّ لِيَحكُمَ بَيْنَ النَّاس فيمَا اخْتَلَفُوا فِيه . وَمَا اخْتَلَفَ فيهِ إلاَّ الَّـذِينَ أوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البيِّـناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّـذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإذْنِه ، والله يَهدي مَنْ يشَاءُ إلى صراط مُستَقيم ﴾[1] .

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّـذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءهُمُ العِلمُ بَغياً بَيْنَهُـم ﴾[2] وعلى هذا فإن الدعوة إلى الوحدة العالمية مع بقاء صوت الباطل عالياً مدوياً ، ومع الاعتراف بسيادة عقائد الشرك والوثنية ، دعـوة لا يرضـى بهـا الإسـلام ، وكيف يرضى بها وهـو الـدين الـذي جاء لينقـذ البشـرية من حضيض الظلـم والشـرك والرذيلة ؟ وإلا ضاعت القيم والمبادىء السامية ، وفقدت الأخلاق النبيلة ، وأذن للباطل أن يصول ويجول ، وأذن للشر أن يعلو ويحكم ، ويأمر وينهى ، وسمح للجهالة أن تشتد وتعم ، وأن يخمد صوت الحق . . وهذا لا يكون ولن يكون ما دام للإسلام رجال ، وما دام لعقيدة التوحيد أهل ، وما دام للحق نداء يعلن (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

قال الله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ويكون الـدين لله ، فإن

---

(١) سورة البقرة الآية / ٢١٣ .

(٢) آل عمران / ١٩ .

انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾[1] .

أما إذا قامت الوحدة العالمية على أساس التوحيد والإسلام ، وأن يخضع الناس جميعا ، لحكم الله ، فهذا ما يسعى إليه المسلمون بوحي من دينهم في شتى أقطار العالم .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أيُّها النَّاسُ إني رَسُولُ الله إلَيكُم جَمِيعاً ﴾[2]

﴿ أنْ أنْذِرِ النَّاسَ وَبَشّرِ الَّذِين آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْق عِنْدَ رَبّهِمْ ﴾[3] .

﴿ يا أيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتكُمْ مَوعِظَةٌ مِنْ رَبّكُم وشِفَاءٌ لِمَا في الصُدُورِ ﴾[4] .

﴿ قُلْ يا أيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبكُم ﴾[5] .

﴿ وأَنْزَلنا إليك الذّكر لِتُبيّنَ للنَّاسِ ما نُزّلَ إليهِمْ ﴾[6] .

﴿ وَقُرآناً فَرَقْناهُ لِتَقرَأَهُ على النَّاسِ عَلى مُكث ونَزّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾[7] .

﴿ فَأقِم وَجْهَكَ لِلدّين حَنيفاً فطرَةَ الله التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا ﴾[8] .

وهذا الأمر لا يتنافى مع التسامح الإسلامي الذي يشهد له التاريخ شهادة عدل وصدق ، والذي يتمثل بالإحسان لأهل الذمة ومعاملتهم بالحكمة البالغة ، ومعايشتهم معايشة سلمية ، وإلقاء الأمن والاطمئنان على بيعهم وأموالهم ، وأعراضهم ودمائهم .

. . . . . .

لكن العصور الحديثة تشهد بأن الكافرين قد أجهزوا على المسلمين بكل ثقلهم ، مستخدمين الوسائل غير الشريفة من غزو مسلح إلى غزو فكري ، ومن يهودية تتعاون مع النصرانية ، ومن شيوعية لا تقل عنهما ضراوة ولا فتكاً بالمسلمين . وقد تنبه قادة الرأي ودعاة الإصلاح إلى هذه الأخطار التي تحدق

---

(١) سورة البقرة / ١٩٤ .
(٢) سورة الأعراف / ١٥٨ .
(٣) سورة يونس / ٢ .
(٤) سورة يونس / ٥٧ .
(٥) سورة يونس / ١٠٨ .
(٦) سورة النحل / ٤٤ .
(٧) سورة الإسراء / ١٠٦ .
(٨) سورة الروم / ٣٠ .

بالمسلمين ، فتعالت الدعوات إلى تمسك المسلمين بعقيدتهم بمثل سلاحه ، وبمثل أسلوبه . قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

وسأذكر هنا أبرز هذه التيارات التي تهاجم المسلمين :

أولاً = النصرانية :

كان للإسلام ـ منذ ظهوره ـ موقف مشرف مع النصرانية لم يشاركه فيه أحد من العقائد الأخرى .

يقول الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[2] .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾[3] .

﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[4] .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[5] .

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[6] .

ويحدثنا التاريخ أن الرجل الصالح (النجاشي) قد سمح للمسلمين المهاجرين من مكة إلى بلاده أن يقيموا في الحبشة آمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم . . وحينما سمع هذا الإنسان الكريم كلام جعفر بن أبي طالب وهو يحدثه عن اعتقاد المسلمين بالمسيح عيسى بن مريم بكى حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته يومذاك . وقال كلمته المشهورة الذائعة بين المسلمين : (إن هذا

---

(١) الحج / ٤٠ .
(٢) البقرة / ٢٨٥ .
(٣) النساء / ١٧١ .
(٤) البقرة / ٨٧ .
(٥) آل عمران / ٤٢ ، ٤٣ .
(٦) آل عمران / ٤٥ ، ٤٦ .

والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)[1] .

وقد كان الإسلام متعاطفاً مع دولة الروم أيما تعاطف . قال الله تعالى : ﴿ آلم . غُلِبَتِ الرُّومُ . في أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعدِ غَلَبِهِم سَيَغلِبُونَ . في بِضْعِ سِنِينَ ، لله الأمرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذ يَفْرَحُ المُؤمِنُونَ . بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[2] .

الأمر الذي عجب له مؤرخو النصرانية والدولة البيزنطية ، لأن كل الشواهد كانت تخالف هذا التنبوء . ومع ذلك فقد قضى الله أمراً كان مفعولاً . وفرح المؤمنون بنصر الدولة البيزنطية .

وعلى هذا فالمسلمون دائماً أكثر تسامحاً وإنصافاً مع المسيحيين ، وقد عاشت الأقليات المسيحية في المجتمعات الإسلامية آمنة على أنفسها آمنة على أعراضها ، آمنة على أموالها ، لها من الحقوق مثلما للمسلمين . ولو وازنا وضع هذه الأقليات المسيحية بأقليات مسلمة تعيش في مجتمعات مسيحية لما كان هنالك وجه للمقارنة بينهما .

وفي القرنين الأخيرين ومع بداية القرن الثامن عشر حينما دب الضعف في الكنيسة وانحسرت سلطتها في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وانهزمت في روسيا والصين لم تهدأ وتضع سلاحها وتستكن للأمر الواقع وإنما رأت أن هذه فرصة مناسبة لها لتؤكد للمجتمعات الأوروبية والأمريكية أنها الجدار القوي ، والستار الواقي الذي يقف حاجزاً دون المسلمين ، فهي تضع يدها مع كل فكرة استعمارية ، ومع كل تآمر شيوعي أو صهيوني لإشهار السلاح بوجه المسلمين ، وقد تواطأت الكنيسة مع الصهيونية ضد الإسلام في كل البلدان الأمريكية والأوروبية ، والإفريقية والآسيوية . مع أن اليهود هم الذين شوهوا معالم المسيحية ، وأساؤوا إلى شخص المسيح عليه السلام .

نقد المعتقد النصراني :

نعتقد ـ نحن المسلمين ـ أن النصرانية المنتشرة الآن ليست هي النصرانية

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٣٦٥ .

(٢) سورة الروم .

التي تنزلت على المسيح عليه السلام ، وإنما هي نصرانية جديدة اتفق عليها بضغط من الملك قسطنطين سنة (٣٢٥ م) أي بعد ثلاثة قرون من رفع المسيح إلى السماء .

ولكن ما السبب الذي دعا الملك قسطنطين لأن يضع نصرانية جديدة ؟ الحقائق التاريخية تثبت أن إنجيل المسيح نفسه أي كلامه لفظاً ومعنى لم يصل إلى الناس ، وإنما الذي وصل إليهم مجموعة من المذكرات الشخصية لبعض تلاميذه الذين لا يرتفع بعضهم عن الشبهات . وكان لليهود أثر في تغير معالم النصرانية الصحيحة بما أثاروا من أباطيل حول السيدة مريم العذراء ، ولذا فقد اختلفت التصورات لديهم حول ذات الله تبارك وتعالى ، وحول المسيح عليه السلام ، ولا ننسى أبداً أثر الوثنية اليونانية ، والرومانية القديمة في إدخال تحريفات على العقيدة الصحيحة وكان من نتائج اختلاف التصورات المسيحية ، أن تقاتل الناس بعد أن افترقوا إلى شيع وأحزاب ، فأراد قسطنطين أن يقضي على الفتن فعقد مجمعاً سمي (مجمع نيقية) وأرغم القسيسين على الوقوف عند تصور يرضي الجميع كحل وسط ، فكان هذا الحل هو تقسيم المسيح عليه السلام بين الألوهية والبشرية ، فهو بشر إله . . نستغفر الله من هذا المعتقد الباطل .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . وَقَالَ المَسِيحُ يَا بني إسرَائِيلَ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيه الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصار ﴾[١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قالوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَة وَمَا مِنْ إله إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَليمٌ ﴾[٢] ﴿ ما المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلا رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمّه صِدّيقةٌ كانَا يَأكُلانِ الطَّعَامَ ، انْظُر كَيْفَ نُبَيّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ انى يُؤفَكُونَ ﴾[٣] .

وقد تعرض علماء المسلمين لنقد المعتقد النصراني السائد ، فقد كتب ابن

---

(١) المائدة / ٧٢ .
(٢) المائدة / ٧٣ .
(٣) المائدة / ٧٥ .

تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) كتابه (الرد الصحيح على من بدل دين المسيح) وفيه ردود علمية على ما طرأ من تحريفات بشرية على الدين المسيحي وعلى إنجيله .

ومن قبل نقد الإمام ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) ـ رحمه الله ـ في كتابه (الفصل في الملل والنحل) المسيحية السائدة ، فكان مما قال :

(والنصارى لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا أن المسيح أتاهم بها ، بل كلهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها رجال معروفون في أزمان مختلفة . . أولها تاريخ ألفه (متى اللاواني) بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح ، في نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط ـ والآخر تاريخ ألفه (مارقس الهاروني) بعد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليه السلام ، وكتبه باليونانية في أنطاكية ، والثالث تاريخ ألفه (لوقا الطبيب) تلميذ شمعون باطره ، كتبه باليونانية بعد تأليف مرقص المذكور في حجم إنجيل متى ، والرابع تاريخ ألفه باليونانية (يوحنا بن سيذاري) بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة في أربع وعشرين ورقة ، ثم ليس للنصارى كتاب يعظمونه سوى (الأفركسيس) الذي ألفه لوقا ، وكتاب (الوحي والإعلان) ليوحنا ، و(الرسائل القانونية) .و(رسالتين لباطرة شمعون . ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهوذا ، ورسائل بولس تلميذ شمعون)[1] .

وكل كتاب لهم بعد ذلك فهو من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطاركتهم[2] وبديهي أن ما ألفه إنسان ونسبه إلى الله لا يمكن أن يكون من الثقة بالمكان الذي يحظى به ما يصدر عن الله مباشرة لفظاً ومعنى . ومن الملاحظ لمن يطلع على هذه الأناجيل ، التفاوت الكبير بينها أسلوباً ومعنى ، حتى في التصور والمعتقد ذاته .

يقول ابن حزم أيضاً :

(وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الإنسان ، ومرة هو إله يخلق ويرزق ،

---

(١) الفصل في الملل والنحل ، وانظر كتاب النصرانية للشيخ أبي زهرة . ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ٢/ (٢ ، ٣) وانظر ١/ (٤٩ ، ٥٠ ، ٥٥) .

ومرة هو خروف الله ، ومرة هو (في الله) ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ولا ينفذ إرادته ، ومرة هو نبي وغلام الله ، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك ، وتولاه هو ، وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السماوات والأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعرق من الخوف ، ويفشل فيركب حمارة ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة ، ويميته الشرطة ، ويصلب بين سارقين ، ومات ودفن ، ثم قام بعد الموت فلم يكن له من هم بعد أن قام إلا طلب ما يأكل ، ثم انطلق إلى شغله)[1] .

ومع ذلك ، فنحن ـ المسلمين ـ ندعو الناس إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونقول لأهل الكتاب :

﴿ قُلْ يا أَهْلَ ا لكِتَابِ تَعَالَوا إلى كَلِمَةَ سَواء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ألاَّ نَعْبُد إلا الله ولا نُشرِكَ به شَيئاً ولاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أرْبَاباً مِنْ دُونِ الله ، فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشهَدُوا بأنَّا مُسلِمُونَ ﴾[2] .

لكن النصارى ، منذ ظهور الإسلام ، اتخذوا الموقف المعادي للمسلمين ، وأعلنوها حرباً طاحنة ، واستعانوا بكل قوى البغي والعدوان ، واستعملوا أسلحة مادية فتاكة وأخرى فكرية ، وتتمثل الأولى بالحروب الصليبية والثانية بالتبشير .

وسأعرض هذين الموضوعين ، وغيرهما مما يعتبر أداة من أدوات الصليبية لتضليل الرأي الإنساني العالمي ، ولبث الدعايات الباطلة ضد المسلمين ، ولإشاعة الشبهات ضد الإسلام نفسه .

(١) الحروب الصليبية :

يخطىء كثير من الباحثين خطأً جسيماً حينما يرجعون الحروب الصليبية إلى أسباب اقتصادية . والحقيقة التي لا مراء فيها أن الهدف الأساسي من هذه الحروب ضرب المسلمين في ديارهم والاعتداء على حرماتهم واستغلال خيرات

---

(١) الفصل / ٢/ ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران / ٦٤ .

بلادهم ، وامتلاك منابع الثرة الطبيعية في أوطانهم . . . والدليل على ما نقول : اشتراك رجال الكنيسة من القسيسين والرهبان في هذه الحروب اشتراكاً فعالاً . وحماستهم الشديدة لإثارة روح الحقد والنقمة ضد المسلمين ، واستماتتهم في سبيل رفع يد المسلمين عن البلاد التي دانت لهم ، ودخل أهلها في دين الله طائعين راغبين . وقد كانوا يفصحون عن نواياهم الخبيثة في إبعاد سلطان المسلمين عن الأقطار المفتوحة ، وبسطة سلطة الكاثوليك . ولم يمنعهم الحياء والأدب وحسن المعاملة التي لمسوها من المسلمين أن يعبروا عن لؤمهم الخبيث ، ويعلنوا عن إرادتهم في استئصال شأفة أمة محمد (قاتلهم الله أنى يؤفكون) .

يذكر التاريخ أن الحملة الصليبية* عند دخولها بيت المقدس في ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ م الموافق ٣ رمضان عام ٤٩٣ هـ . قد ذبحت اكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها في الدماء . وفي أنطاكية قتلوا اكثر من مائة ألف مسلم[١] .

فالأمر إذن ـ جد خطير ، إنه حقد الشر على الحق ، والرذيلة على الفضيلة ، وعداوة الشرك للتوحيد ، وخصومة الضلال للهدى .

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت ونهبت ، وقتلت وفتكت ، وتيقظ الإيمان في قلوب المسلمين ، واتقدت شعلة الحماسة الدينية في نفوسهم ، وتجلت البطولة في أسمى صورها ، فإما حياة

الحروب الصليبية : لقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادي عشر واستمرت حتى نهاية القرن الثالث أي ما يقرب من مائتي وخمسة وعشرين عاماً . في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات .

ويصف كاهن مدينة لوبوي ريموند داجيل سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس فيقول :

حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ، فقطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما أصابهم ، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وحرق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه (حضارة العرب د . غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ط/ الثانية عام ١٩٤٨ ص ٤٠٢)

وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر رضي الله تعالى عنه فقال :

(لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها ، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة)

(١) حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثروب ستودارد ترجمة نويهض . ج ١ ص ٦٠ .

عزيزة كريمة تظللها راية التوحيد ، ويسودها العدل والسلام ، وإما موت في سبيل هذا الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده والموت في ساحة الشرف أسمى أماني المسلم .

وبعد مضي قرنين كاملين من حروب دامية اشتد وطيسها بين كتائب الإيمان وبين جحافل الشر ارتدت الحروب الصليبية بعد أن تكسرت نصالها أمام الصمود القوي ، والصبر والثبات ، والشجاعة والبطولة ، والبذل والفداء والتضحية ، وبعد أن أدركوا تماماً أن الإيمان لا يغلب ، وأن الله تعالى يحقق وعده للمؤمنين بالنصر الأكيد ، إذا ما صدقوا ، وإذا ما صبروا .

وقد سجل التاريخ صفحات مشرقة لسير أبطال المسلمين في هذه الحروب ما يستدعي الإجلال والإكبار لهؤلاء الرجال الذين تمسكوا بالإيمان ، وقاوموا الأعداء من أجل عقيدة التوحيد .

(٢) التبشير :

بعد ارتداد الحروب الصليبية منهزمة أمام قوة المسلمين ، اتخذ الصليبيون وسيلة أخرى لإضعاف الروح الإسلامية في نفوس المسلمين ، هذه الوسيلة هي التبشير ، وذلك بعد أن أدركوا يقيناً أن الحروب بقوة السلاح المادي لا تجدي شيئاً ، بل إنها تكون في كثير من الأحيان باعثاً على وحدة المسلمين وإظهار قوتهم المعنوية والمادية .

يقول (رستز) :

(خابت دول أوربة في الحرب الصليبية الأولى عن طريق السيف ، فأرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التبشير ، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات ، وفرقت المبشرين في العالم ، وهكذا تبنت الدولة حركة التبشير لمآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية ، ولقد استطاع (ريمون لول) في عام ١٢٩٩ وعام ١٣٠٠ للميلاد أن يحصل على إذن من الملك يعقوب صاحب أوغونة ليبشر في مساجد برشلونة محتمياً بالسلطة المسيحية في إسبانيا)[١] .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٥ .

ويعتبر عام (١٢٩٩) أول عهد الأوروبيين بالتبشير كما يعتبر (ريمون لول) أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فقد تعلم (لول) اللغة العربية ، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة[١] .

وإلى جانب تطواف (لول) في البلاد العربية ، كانت السفن البحرية الأوروبية تطوق البلاد الإسلامية ، وتفرض حولها شبكة من التجسس ، فتدمر حضارتها ، وتفتت ركائز قوتها .

وتسلل المبشرون إلى داخل العالم الإسلامي للقيام بمهمة التجسس - واستطلاع نقط الضعف وكشفها ، وبث الأعوان ، ونشر القلاقل والفتن والشبهات .

(ويأتي المبشر تحت علم الصليب كما يقول الأب شانتور يحلم بالماضي وينظر إلى المستقبل ، وهو يصغي إلى الريح التي تصفر من بعيد من شواطىء رومية ومن شواطىء فرنسا ، وليس من أحد يستطيع أن يمنع الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس ، وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل إن الله يريدها)[٢] .

ولم يتهاون الصليبيون في يوم ما منذ انقضاء الحروب الصليبية وإلى الآن في توجيه مؤامراتهم ، وفي تكثيف خططهم لضرب العالم الإسلامي للقضاء على كل قوة تجمعه وتشده إليها ، وما زالوا يشنون غاراتهم ، الغارة تلو الأخرى على البلاد الإسلامية لتجعلها منطقة خاضعة لحكمهم الاستعماري .

وعلى هذا فالتبشير ما هو إلا ستار شفاف أو واجهة مزيفة تخفي تحتها أطماعاً استعمارية تريد أن تحقق غزواً حضارياً . وكثيراً ما يظهر ا لتبشير في مناسبات شتى مرادفاً تماماً لمعنى الاستعمار . ذلك لأن رجال الكنيسة الكاثوليكية يعتبرون التبشير بمذهبهم عملاً وطنياً .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ترجمة الأستاذ محب الدين الخطيب ص ١٨ .

(٢) التبشير والاستعمار ٣٨/٣ .

يقول (رينيه بوتيه) في كتاب (الكاردينال لافيجيري) :

(إن العمل الوطني الذي قام به لافيجيري بدأ مع عمله التبشيري عندما بدأ بنشره على السوريين ، تلك العطايا التي تمنحها الكنيسة الكاثوليكية أنه جعل فرنسا محبوبة لدى السوريين باسم المسيح)[1] .

ومن الوضوح بمكان تآزر التبشير مع الهيئات السياسية للوصول إلى أغراضه اللئيمة ونواياه الاستعمارية ، وقد اقترح أحد المبشرين أن تتعاون بريطانيا مع فرنسا على سياسة السيطرة على الشواطىء ، حيث يمكن وصول آلات القتال الحديثة بسهولة ، ذلك لأنه رأى أن الإسلام يتزايد عددياً ، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً[2] .

وقد اعتمد المبشرون على إثارة النزعات الطائفية والقومية في صفوف المسلمين وعملوا على إحياء الحركات الشعوبية المعادية للمبدأ الإسلامي ، فروجوا للقومية العربية التي تنتمي إلى فترات تاريخية مندثرة ، وإلى الفرعونية التي تنتمي إلى حجارة الأهرام في مصر ، وإلى الفينيقية في الساحل السوري ، وإلى الآشورية في العراق .

وقد امتصت هذه الاختلافات القومية والطائفية قواهم الذاتية ، إذ وجدت من يهتف بها ويغني لها ، وما زال التبشير يبحث عن معول آخر يهدم به التضامن الإسلامي ، وعن نزعات سياسية أخرى تفتت رابطة العالم الإسلامي وتبعثر قواه وكأن اللورد (جلاد ستون) حينما صرخ بمجلس العموم البريطاني وقد أمسك بنسخة من القرآن الكريم قائلاً (ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان) يتمثل للمبشرين دائماً ، يدعوهم لأن يحكموا خططهم ويحزموا أمرهم[3] .

وإن أمتنا اليوم تبحث عن حل لتتجنب مكائد التبشير وخططه ، وستصل إلى حل يجعلها في أمان من يد التبشير والاستعمار بإذن الله ولو كره المشركون .

---

(١) التبشير والاستعمار ٣/ ٣٩ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ١٣٥ .

(٣) انظر كتاب ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة ص ٩٩ .

أساليب التبشير :

لقد اندس المبشرون وراء كل فكرة براقة يمكن أن تجذب طبقات مختلفة من الشعوب ، فاستغلوا كافة الخدمات الاجتماعية لمصالحهم الخاصة ، فأنشأوا الأندية الثقافية والترفيهية ، وجمعيات للشباب والشابات ، وأنشأوا جمعيات لإصلاح الأحداث ، ونادوا بإنصاف العمال لجذبهم إليهم ، وقاموا بإنشاء جمعيات للرفق بالحيوان للتأثير في قلوب السذج من الناس الذين لا يلبثون أن يصطدموا بالواقع حينما يجدون ظلمهم للإنسان ، واستغلالهم للأعمال النبيلة في سبيل تحقيق أغراضهم الضعيفة ، ومطامعهم اللئيمة .

ويمكن أن ألخص أساليبهم التبشيرية بالنقاط التالية :

(١) إنشاء مدارس بشيرية تعليمية في مختلف مجالات التعليم ، فهناك دور للحضانة ، وأخرى لتعليم تلاميذ المدارس الابتدائية ، وثالثة لتعليم تلاميذ مدارس المرحلة المتوسطة والثانوية ، وبالإضافة إلى هذه المدارس التعليمية هناك جامعات يسوعية وأخرى أمريكية ، وقد بثت هذه المدارس والجامعات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، في القرية النائية ، والقريبة وفي المدينة الكبيرة والمدينة الصغيرة ، وهي بهذا الانتشار والتوسع تغزو كافة فئات المجتمعات وتتصل بمعظم طبقات المجتمع .

وقد قامت هذه المدارس والجامعات بدورها المعد لها قياماً فعالاً في خدمة الأغراض الاستعمارية ، وأهمها بث روح الولاء للغرب ، وإبعاد الجيل الحاضر رويداً رويداً عن شخصيته الإسلامية وعن تاريخه الإسلامي المشرق ، وعن ثقافته الدينية التي تحدد للفرد مقومات كيانه الحضاري المستقل المتميز .

ومن أهداف التبشير في هذا المجال وضع المسلم في قالب غربي مستعار ، ينسى به أصالة تراثه ، وتسترخي قواه ويفقد شجاعته وحماسته لحرمات الله أن تنتهك ، فإن غار على حد من حدود الله يتجرأ عليه فتلك رجعية لا تليق بالرجل المثقف الواعي العاقل ، وإن أخذته كرامة المسلم وإباؤه . . . الأصيل والعزة النفسية بأن لا يساير ولا يداهن ، فتلك همجية تتنافى مع الإنسان الحضري المتعلم . .

وهكذا استطاع الاستعمار بهذا الأسلوب أن يسلب المسلم شخصيته المستقلة ، فإذا فكر في مسألة ما فإنما يفكر بعقل أساتذته أصحاب الفضل عليه ، وإن رسم هدفاً في حياته فتبعاً لأهدافهم وتحقيقاً لأغراضهم . .

وكثيراً ما أثرت المدارس التبشيرية في نفوس الطفولة البريئة ، فإذا بالطفل المسلم يردد صلواتهم ويترنم بشركهم من حيث لا يدري ولا يشعر ، كما أثرت في الشبيبة اليافعة من أبناء المسلمين ، وأورثت في نفوسهم حب مخالطتهم والاقتباس من عاداتهم وتقاليدهم التي تمثل شخصيتهم ، فتذبل الشخصية الإسلامية ، وأول بوادر هذا الذبول التهاون في أداء العبادات وفي إظهار الشعائر الإسلامية الأساسية .

(٢) ومن أساليب التبشير نشر العلمانية ، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ، ورد النتائج والأسباب للطبيعة أو إلى المصادفة ، وههنا يكمن الخطر الشديد ، الذي يبذر بذور التشكيك في نفوس المسلمين ، ويؤدي إلى اضطراب في العقيدة ، واضطراب في القيم والمفاهيم لدى الإنسان المسلم فتتنازعه التيارات المتعاكسة المتضادة من مد وجذب ، فتضيع ملامح شخصيته وتنهار قواه الذاتية ، أو ينحرف في سلوكه الخلقي ، ويخلع عنه الرداء الإسلامي . . وبهذا يتحقق للتبشير الدنيء غرضه الخطير .

(٣) فتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية إلى الشرق الإسلامي ، وهذا أسلوب خطير أيضاً لأنه يدس السم في الدسم ، فالغاية شريفة ظاهراً وقالباً ولكنها خبيثة مضموناً وحقيقة . ذلك لأن المرض حالة بليغة من حالات الضعف البشري ، ويتبع هذا الضعف قصور في الإدراك الفكري ، فيصل الطبيب أو الممرض إلى غرضه من غير أدنى جهد . . .

(٤) المؤتمرات التبشرية : [1]

أذكر على سبيل المثال المؤتمرات التالية :

أ ـ مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) المنعقد في منزل زعيم الثورة العرابية المسلم .

---

(١) انظر كتاب الغارة على العالم الإسلامي ، وأساليب الغزو الفكري ص ٣٢ .

ب ـ مؤتمر أدنبرج سنة ١٣٢٨ هـ في إنجلترا .

جـ ـ مؤتمرات القدس وقد حصل في سنوات متعددة منها سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وآخر سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وثالث سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

وأهم التوصيات التي خرجت بها هذه المؤتمرات :

١ ـ وجوب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداء لهم .

٢ ـ وجوب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .

(٥) من الوسائل التي اعتمد عليها التبشير للوصول إلى أغراضه (الإعلام) فكان يعمل من وراء حركات الصحافة ، وفي لبنان وفي مصر على سبيل المثال جرائد مخصصة لصالح التبشير وقد استغل المبشرون (الكشفية) للتأثير على الصغار . . . وقد شجعوا على الزواج من غير المسلمات لإيجاد جيل تابع لهم ولاء وحباً وثقافة .

(٦) ومن الوسائل المخزية التي اتبعها التبشير نشر الفساد والانحلال الخلقي ، وتحطيم القيم الأخلاقية ، فقد عملوا على إنشاء حانات للخمر في كل من سوريا ومصر ، وشجعوا على تهريب المخدرات والحشيش .

وفي العصر الحديث يستعمل المبشر وسائل جديدة يدخل بها إلى قلب بلاد المسلمين يؤثر في نفوس أبناء المسلمين وفعلاً فقد استغل الفن والسينما والفلسفة .

تعاون التبشير واليهودية :

مما لا شك فيه أن هناك تعاوناً وثيقاً بين إسرائيل وبين التبشير ، ذلك لأن كلاً منهما استعمار ، والاستعمار قادر على التلون بألوان شتى وصور مختلفة إذ أنه يسعى لغاية واحدة ، وهي تسخير الآخرين لتحقيق مصالحه الخاصة ، ورفع مستوى بلاده اقتصادياً على أكتاف البلاد التي تؤكل خيراتها ، ويستخدم رجالها لتصميم حضارة راقية تخلد اسم الدولة الغالبة القوية .

ومنذ أمد طويل واليهود يساندون التبشير لتقويض أركان الدولة العثمانية واقتسام أراضيها وفعلاً وقع ما خططه له ، وكان من بين الذين قدموا للخليفة الصالح ورقة عزله ذلك اليهودي الذي ساومه في يوم من الأيام عن التخلي عن فلسطين إزاء رشوة مالية تدفع له . . ولكن السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ رفض بإصرار وعزيمة أن يباع شبر من أراضي فلسطين ، وتوعد اليهود الخليفة المسلم . وأعقب ذلك إعلان وعد بلفور سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) الصادر من وزير الخارجية البريطانية والذي يقضي بمنح فلسطين وطناً قومياً لليهود . . وتوالت هجرة اليهود أثناء الانتداب البريطاني و انسحبت بريطانيا سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) من فلسطين لتمكن اليهود من التسلط عليها . . وأقيمت في فلسطين أول كنيسة بروتستانتية ، وكان المبشرون جد مقتنعين أن جمع اليهود في فلسطين وإنشاء وطن قومي لهم يسهل مهمتهم في الوصول إلى أطماعهم في ديار المسلمين ، وللوصول إلى تغيير ثقافة المسلمين . من أجل ذلك فتح الإنجليز باب فلسطين على مصراعيه لدخول قوافل الحقد والكراهية والمكيدة والخيانة . . وقد كتب المبشر (جون فان أسى) سنة (١٩٤٣ م) يذكر إسرائيل ويعلن حدودها كما هي عليه الآن ، ويبرر المبشر (لورانس براون) تفضيل المبشرين التعاون مع اليهود ضد القضية الإسلامية بقوله :

(إن المسلمين يختلفون عن اليهود في أن دينهم (دين دعوة) أما اليهود فهم جماعة مغلقة . . .

لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ولكن بعد الاختبار لم نجد مبرراً لهذا التخوف ، لقد كنا نخوف بالخطر اليهودي ، لكننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . . ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته . . إنه الجدار الوحيد الذي يقف في وجه الاستعمار[1] .

وقال مسؤول فرنسي سنة (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) :

(ليست الشيوعية خطراً على أوروبا ـ فيما يبدو لي ـ إن الخطر الحقيقي

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٤ .

الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي ، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي . . فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب ، وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب[1] .

(٣) الاستشراق :

لقد اتخذت الصليبية بالتعاون مع الصهيونية (الاستشراق) وسيلة فكرية لإثارة الشبهات والفتن والقلاقل حول الإسلام عقيدة ومنهجاً وخلقاً وشريعة ، وكانت ترمي بذلك إلى تحقيق أهداف غاية في الخطورة أشير إلى بعضها :

(١) تشويه المعالم العامة للإسلام وحجب محاسنه عن الناس للحيلولة دون انتشاره من جهة ولإظهاره على غير حقيقته من جهة أخرى ، ذلك لأن المستشرقين علموا يقيناً أن الإسلام إنما انتشر بسمو مبادئه وسماحة تعاليمه ، وعدالة تشريعه ، فأرادوا أن يحجبوا هذا الدين العظيم عن الوصول إلى النفوس والأفئدة ، فعمدوا إلى التضليل والتشويه .

(٢) العمل على إخماد روح الجهاد في نفوس المسلمين والركون إلى الراحة والدعة ، وبذلك يتم دعم الاستعمار الصهيوني ، والغزو الفكري الصليبي .

(٣) العمل على عزل الشريعة الإسلامية عن أنظمة الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستبدالها بأنظمة أجنبية وضعية ، وبذلك يحافظون على تبعية المسلمين للاستعمار في شتى أشكاله ومختلف ألوانه ، ومن ثم ينعمون بخيرات بلادنا الإسلامية ويتمتعون بثرواتها الطبيعية .

(٤) محاربة اللغة العربية ومناهضتها .

(٥) نشر الاتجاه العلماني ، وربط حركة التغريب بالتقدم الحضاري .

---

(١) انظر كتاب الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي ، ص ٣٥ وكتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . ص ١١٣ .

تاريخ الاستشراق :

من الصعب أن يحدد الباحث تاريخ بدء الاستشراق ، ولكن الآراء تضافرت على أن الحركة الاستشراقية قد بدأت في القرن السابع الهجري في الأندلس ، حينما اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين في ديارهم (الأندلس) فدعا ملك قشتالة (ميشيل سكوت) ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم فجمع (سكوت) عدداً من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من طليطلة ، وبدأوا يترجمون بعض الكتب العربية إلى اللغة الأجنبية ، ثم قدمت هذه الكتب إلى الملك فأمر باستنساخها وإرسال نسخها إلى جامعة باريس[1] . ومن أوائل الرهبان الذين درسوا في الأندلس على يد العرب الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م .

وكان من المتقدمين في ترجمة الكتب العربية (ريمون لول) رئيس أساقفة طليطلة ، ومن ثم انتشرت الترجمة على نطاق واسع ، وكانت ترسل الكتب العربية لتدرس في جامعات أوروبا في مختلف العلوم من طب وكيمياء وفيزياء وفلسفة وغيرها من العلوم التي بلغت أوج ازدهارها في الحضارة الإسلامية ، وكان الأوروبيون يستفيدون منها فائدة كبرى ، وإنها لتعتبر ـ بحق ـ نواة الحضارة الأوروبية الحديثة .

ومنذ أن بدأ المستشرقون الكتابة سلكوا طرقاً خبيثة لتزييف العقيدة الإسلامية ، وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان[2] وتصوير الإسلام على أنه دين تعبدي فقط ، وأن هناك فصلاً تاماً بين الدين وبين الحكم وسياسة الدولة والنظم الاقتصادية التي يمكن أن تخضع لأنظمة ومبادىء مغايرة للدين . .

وقد تطور الاستشراق في الأسلوب وفي المنهج ، كما تطورت طرق التبشير من قبل ، فعمد المستشرقون منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) إلى الدعوة لإنشاء كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم البلاد الأوربية ، وفعلاً فقد أنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في

---

(١) أساليب الغزو الفكري د . علي محمد جريشة وزميله ص ١٩ .

(٢) الإسلام في وجه التغريب للأستاذ أنور الجندي ص ٧ ، ٨ .

لندن وباريس وليدن وبرلين ، وبطرسبرج وغيرها ، واشتملت على أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية وكانت تهدف من وراء ذلك تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية ، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوربية للدراسة فيها ، وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يمليه المستشرق في أذهان الطلبة المبعوثين من أبناء المسلمين [1] ، وكانت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب تقدم الأموال الطائلة للمستشرقين من أجل القيام بمهمتهم .

وقد أنشئت عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية لخدمة الاستشراق وللتآزر مع الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي . . والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين أهداف الاستشراق والتبشير والاستعمار إلا من حيث الأهداف القريبة أو الهيئة الظاهرية ، أما الغرض البعيد لها جميعاً فواحد . . غير متعدد . . . ومن أبرز هذه المؤسسات التعليمية : الفرانسيسكان والجامعة الأمريكية ، وقد انتشرت في كل الأقطار الإسلامية .

خطر الاستشراق :

إن كل من يقرأ مؤلفات المستشرقين يضع يده على مواضع الخطر ، وذلك لما تهدف إليه هذه الكتب من التشكيك في العقيدة الإسلامية ، ومن تشويه التاريخ والتراث الإسلامي ، وللمستشرقين مناهج تعليمية وثقافية وفكرية يتوصلون عن طريقها للافتراء على المعالم الإسلامية والعالم الإسلامي ـ وقد استطاع الاستشراق بكل مكر ودهاء أن يوجد تلاميذ له في الشرق الإسلامي يدورون في فلكه ويروجون بضاعته .

(كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولاً في المجتمع الإسلامي في العصر الحديث ، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب والمفكرون الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبية . . . وهذا واضح في الدعوة إلى العامية . . وفي الدعوة إلى الإقليميات

---

(١) أساليب الغزو الفكري ص ٢١

والقوميات الضيقة) [1]

وكثيراً ما يعمد المستشرقون إلى إخضاع النصوص لأهوائهم ورغباتهم فيقبلون منها ما توافق أهواءهم ويرفضون غيرها ، وكذلك يتحكمون في المصادر التي يختارونها ، فقد يدللون على شبهاتهم بأقوال المعتزلة ـ المرفوضة في الإسلام أصلاً ـ ويتركون المصادر التي يشهد لها الثقاة المخلصون بالصحة والقبول .

ويقوم المستشرقون بعملية إحياء التراث الباطني المجوسي ، مستهدفين إثارة الشكوك حول الفكر الإسلامي الأصيل ، ويبدو هذا واضحاً في تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم وبخاصة ما يتصل بالإلحاد والإباحية .

ومما يجب أن يتنبه له طلاب العلم والبحث المنهجي هو الحذر كل الحذر من كتب المستشرقين وذلك بأن توضع هذه الكتب تحت التمحيص والتنقيب والنقد وعدم اعتبارها مراجع معتمدة تغني عن الكتب العربية الأصيلة ، أو على الأقل عدم اعتبارها مراجع مسلماً بكل ما دون فيها من آراء وأقوال .

شبهات المستشرقين :

مما لا ريب فيه أن الإسلام يواجه عداء مريراً من المستشرقين ، ولعل مرجعه عدم **فهمهم اللغة العربية وقصورهم** عن ادراك ما في القرآن الكريم من تعبيرات بيانية ومجازية ، فضلاً عن أهدافهم الدنيئة وأغراضهم اللئيمة التي تظهر في كل تأليف من تآليفهم .

وقد حاول الكاتب الإنجليزي (كارليل) أن يترجم القرآن الكريم ، ولكنه صدم ببلاغة القرآن وإعجازه حتى إنه لم يستطيع أن يفسر كثيراً من آياته أو ان يدرك كل مدلولات الألفاظ فقال (إن القرآن الكريم كلام ركيك ثقيل على النفس ولولا ما يحتمه الواجب العلمي على الدارس الأوربي ما استطاع صبراً على قراءته) [2] .

---

(١) أساليب الغزو الفكري ص ٢٤

(٢) مقدمة كتاب الأبطال ، انظر كتاب الاسلام والمستشرقون د . عبد الجليل شلبي ص ١٢

فإذا كان القرآن الكريم وهو المعجزة التي تحدت العرب وهم أئمة البلاغة والبيان والفصاحة ، وقد ثبت عجزهم عن معارضة آية واحدة منه ، يبدو في نظر هذا المستشرق اللعين سقيماً . . . ، فكيف يقال إنه يفهم اللغة العربية ويؤخذ برأيه في شيء يستخلصه من نصوصها .

و (كارليل) هذا يعتبر في نظر كثير من الباحثين مسالماً للإسلام ، لأنه مدح النبي ﷺ في كتابه (الأبطال) قائلاً :

(من العار أن يصغي أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين : إن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً لم يكن على حق ، فالرسالة التي دعا اليها هذا النبي (ﷺ) ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التي أداها محمد ﷺ إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول) [1] . وقد ردَّ عبارة كارليل في القرآن الكريم بعض الكتاب المحدثين منهم آربري في مقدمة ترجمته القرآنية ، ومنهم جب في كتابه المحمدية ، ولكن حتى هذين المستشرقين لم يجيدا فهم النصوص القرآنية [2] .

ويقف المستشرقون المعاصرون عند نصوص معينة من القرآن الكريم يتخذون من فهمهم الخاطىء لها دليلاً على أن محمداً (ﷺ) استقى تعاليمه من الكتابيين ، وهذا زور وبهتان افتروه ، وأعانهم عليه عداؤهم وحقدهم الدفين .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وما كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [3] .

قال المستشرق الإنجليزي (ألفريد جيوم) وتابعه آخرون (إن محمدا كان دارساً مبتدئاً للكتاب المقدس ، فظن أن مريم أم عيسى عليه السلام هي مريم أخت هارون ، مع أن بين عيسى وهارون زمناً طويلاً) [4] .

---

(١) من كتاب أساليب الغزو الفكري للدكتور علي محمد جريشة وزميله ص ٢٥

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ١٠

(٣) سورة مريم / ٢٨ .

(٤) الإسلام والمستشرقون . ص ١٢

ومن العجيب أن تروج هذه الفكرة وأن تلقى قبولاً من المستشرقين ، ولكن هذا العجب سرعان ما يزول إذا أدركنا خبث طويتهم . . إذ أن كلمة (أخت) في اللغة العربية لا ينحصر استعمالها في أخوة النسب ، وإنما تستعمل للدلالة على الشبيه والنظير والمثيل . . فيقال مثلاً : شوقي أخ للمتنبي والغرض من هذا أن كلاً منهما يشبه الآخر في صفات معينة ، وليس المراد أن أباهما واحد ، وقد كانت مريم العذراء أم المسيح معروفة بورعها وتقواها ، وهي الأنثى التي تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً قد شابهت هارون في ورعها وتقواها ، فلما حملت بعيسى عليه السلام وهي لا زوج لها ظنها فاسدو الفطرة والذوق أنها ارتكبت فاحشة واستعجبوا لحدوث ذلك منها وهي بارة تقية ، فقالوا لها كيف تفعلين هذا مع أنك شبيهة لهارون في عبادته وطهارته ، فالآية الكريمة إذن لا تشير الى أن محمداً ﷺ قال إنها أخت لموسى وهارون وأن أباهما كانا أباً لمريم . وعلى عكس ما فهم المستشرقون فإننا نجد آيات قرآنية تشير إلى وجود فترة زمنية طويلة المدى بين رسولي الله موسى وعيسى عليهما السلام .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال لوفد نجران حين جاءوا يناظرونه : (إن عيسى أخي) ومحمد (ﷺ) يعرف أنه أخ له وهو لم ير عيسى ، وبينهما ما يقرب من ستمائة عام ولكنهما أخوة النبوة والرسالة . والأنبياء جميعاً على تفاوت الأزمنة بينهم أخوة لأن رسالتهم واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله .

ويقف كثير من المستشرقين عند آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذينَ يَقْرَؤُونَ الكتابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [1]

وقد ذهب فهمهم المحدود القاصر أو المغرض إلى هذا التأويل الخاطىء : وهو أن محمداً ﷺ أمر أن يسأل أهل الكتاب ، وعلى هذا فقد سألهم ، وبالتالي فإن رسالته مستوحاة منهم .

هذا ما درجوا عليه ، ولعل سبب هذا التفسير الخاطىء هو عدم فهمهم اللغة العربية [2] حق الفهم في أمور :

---

(١) سورة يونس / ٩٤ .

(٢) الإسلام والمستشرقون . ص ١٢

١ ـ منها أن الخطاب يوجه إلى رسول الله ﷺ والمراد به المسلمون [١] وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ ولا تُطِعِ الكَافِرِينَ والمُنَافِقِينَ ﴾ [٢] فالنبي ﷺ متق الله ولم يطع الكافرين والمنافقين ، ولكن الخطاب موجه إلى أمته . وكما في قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِكَ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ وأَعْرِضْ عَنِ المُشركينَ ﴾ [٣] . وهو ﷺ كان معرضاً عن المشركين

٢ ـ ومنها أن السؤال لا يعني الاستفهام ، وإنما يعني التأمل والبحث ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرحمن آلِهَةً يُعبَدُونَ ﴾ [٤] ولا يمكن أن يسأل محمد ﷺ رسولاً من الرسل الذين سبقوه ، كيف وبينه وبين عيسى عليه السلام وهو آخر واحد منهم نحو ستة قرون ، ويمكن أن يقال إن الخطاب موجه إلى الأمة الإسلامية وليس إلى محمد ﷺ على الخصوص . والمراد ابحثوا في رسالات الأنبياء جميعاً فستجدونها تدعو لعبادة الله وحده ، ولا تسمح بتأليه أحد سواه ولا بالخضوع لأحد غيره [٥] .

٣ ـ ومنها أن الجملة مشروطة بتحقق الشك ، (فإن كنت في شك) ومحمد ﷺ لم يكن في شك أبداً مما أنزل الله إليه ، ولهذا قيل في تفسير الآية الكريمة إن لفظ (إن) للنفي أي ما كنت في شك قبل ، يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك لكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم (ص) يقيناً برؤية إحياء الموتى [٦] ، وعلى هذا فما بنى هؤلاء المستشرقون دراستهم عليه وما وصلوا إليه من نتائج دعوات لا أساس لها من الصحة ولا وجود لها أصلاً ، ومرجع ذلك ضعفهم في اللغة العربية فضلاً عن لؤم طويتهم .

وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فقالوا : إن محمداً ﷺ قد استقى

---

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي . ١٥ / ٦٨

(٢) أول سورة الاحزاب .

(٣) سورة الأنعام / ١٠٦ .

(٤) سورة الزخرف / ٤٥ .

(٥) الإسلام والمستشرقون . ص ١٣

(٦) التفسير الكبير ١٧ / ١٦٢

معلوماته من مصادر كثيرة منها صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي . وزوجه ﷺ مارية القبطية . أحقاً هم يؤمنون بما يقولون ؟ أم هو مجرد اتباع للهوى ولأهل الأغراض التي تخطط ليلاً نهاراً لإشاعة مثل هذه الفتن والأقاويل [1]

أما صهيب الرومي فقد قيل عنه إنه عربي الأصل من بني النمر بن تولب ، سبته الروم طفلاً وباعته ، ونشأ بمكة ، ويقال إنه عتيق عبد الله بن جدعان [2] فماذا عسى أن تكون ثقافة طفل أو صبي حتى يستفيد منه محمد ﷺ وهو لم يذهب الى بلاد الروم ، ولم تكن الدولة البيزنطية دولة توفر العلم حتى يفيض على الصبيان ، ويقال : ان صهيباً هذا نشأ بالعراق [3]

وأما سلمان الفارسي فقد كانت رحلته بحثاً عن الحقيقة ، ولم يصل إلى بلاد العرب إلا بعد الهجرة وبعد أن مر على إعلان الدعوة الإسلامية ما يربو على خمسة عشر عاماً [4]

وأما مارية القبطية فقد أهديت للنبي ﷺ ، وكانت أمة ساذجة لا ثقافة لها .

فأي زور وأي بهتان يسيل من أقلام هؤلاء المستشرقين ـ أفلا يعقلون ؟ أفلا يخضعون للحق المبين . . وإن ذهبوا كل مذهب من ضلال وبهتان ، فإن نور الإسلام لن يطفأ وإن الله تعالى متم نوره ولو كره المشركون .

وإن هؤلاء الصحابة أمثال صهيب الرومي وسلمان الفارسي الذين أشار إليهم المستشرقون ـ قد أتوا ليتعلموا من رسول الله ﷺ ويتتلمذوا على يديه ، ولو كان أحدهم مبرزاً في علم وثقافة ، أو أستاذاً في العلوم الدينية لما ساغ له أن يأخذ ممن علمه ؟ وهل يأخذ الأستاذ العلم ممن علمه ؟ وهل يكون التلميذ أستاذا لأستاذه ؟

ومما يثيره المستشرقون تلبيساً وتشويهاً لحقائق ثابتة تاريخياً وعملياً ، مسألة أمية محمد ﷺ فهم يقولون : إن محمداً ﷺ لم يكن أميا ، بل كان قارئاً كاتباً ،

---

(١) الإسلام والمستشرقون

(٢) الاستيعاب ٢ / ٧٢٧

(٣) الاستيعاب ٢ / ٧٢٧

(٤) الاستيعاب ٢ / ٦٣٤ ـ ٦٣٨

والحجة في هذا أنه كان تاجراً والتاجر لا بد أن يراجع حساباته ويضبطها ولا يتأتى ذلك لأمي .

هذا التخيل الذي ينسجه هؤلاء المستشرقون مصادم للوقائع التاريخية ، التي لا يستطيع أحد أن يتجاهلها أو يردها بمجرد أحلام يقظة وطيش ، ولم يكن هناك أي دليل من الدلائل التاريخية تثبت أن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة . ولو عرف عنه ذلك لما سكتت قريش المعادية المعاندة ، وكانت تود أن ترى ثمة خيطاً ولو كان رفيعاً لرفض دعوته ولمقاومته بشتى وسائل المقاومة . . . وكان في عصره ﷺ عشرات من التجار لا يقرؤون ولا يكتبون وهم من ذوي الثراء والملكية المنوعة ونحن الآن وبعد أربعة عشر قرناً من نزول القرآن الكريم نجد بيننا تجاراً كباراً أميين . وقد وصف القرآن الكريم محمداً ﷺ بالأمية فقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ (١) . . وقال : ﴿ وما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢)

وعندما تجمعت قريش لغزوة أحد أرسل العباس بن عبد المطلب كتاباً سرياً يخبر فيه رسول الله ﷺ بهذا التجمع فدفع النبي ﷺ الخطاب إلى أبي بن كعب فلما قرأه وعلم النبي ﷺ بهذا الخطر الذي سيواجه المسلمين استكتم أبياً ما قرأ ، ولو كان ﷺ يحسن القراءة لقرأ الكتاب بنفسه ولما احتاج إلى من يقرأه ثم يستكتمه الخبر .

وحين كتبت ثقيف شروط إسلامها للنبي ﷺ أجازت فيها الربا والزنا ، فلما قرىء الخطاب على النبي ﷺ قال للقارىء وهو يقرأ كلمة (الربا) ضع يدي عليها ، فوضع يده فمحاها ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (٣) . ولما بلغ كلمة الزنا قال ضع يدي عليها فمحاها أيضا وقرأ ﴿ ولا تَقْرَبُوا الزنَا إِنَّهُ كانَ فَاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (٤) .

وأمية محمد ﷺ قضية متواترة لا تحتمل تشكيكاً ، ولا تحتاج إلى بحث من

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٧

(٢) العنكبوت / ٤٨

(٣) البقرة / ٢٧٨ .

(٤) الإسراء / ٣٢ . وانظر الموسوعة القرآنية ١ / ٣١ .

جديد . وهي مما يؤكد أن القرآن الكريم كله وحي من عند الله ، وأن النبي محمداً ﷺ لم يكن يملك وسيلة التعلم وهي القراءة والنظر فيما ترك الأولون [1] .

يقول الدكتور (عبد الجليل شلبي) في كتابه (الإسلام والمستشرقون) : (والقرآن الكريم لا يكفي أن يؤلفه شخص يقرأ ويكتب ، فهو موسوعة علمية تلم بجوانب فكرية كثيرة ، به آيات تشير إلى مستكشفات علمية حديثة ونظريات ثابتة لم يعرفها العلماء إلا حديثاً ، فلو أن عدداً من العلماء تضافر على تأليفه لأعوز إلى ثقافات واسعة وزمن متطاول للدرس والتأليف ولهذا ، نحن - المسلمين - نؤمن بيقين وبرهان أنه كلام الله) [2] .

الشبهة الثانية :

عدم إيمان القرشيين بمحمد ﷺ في بادىء الأمر .

يقول المستشرق (ألفريد جيوم) :

إن المثل :(لاكرامة لنبي في وطنه لا ينطبق على أحد مثلما ينطبق على محمد (ﷺ) ويتخذ من تكذيب قريش له دليلاً على بطلان دعوته) وهو كلام خطأ في استدلاله وفي استنتاجه . ذلك لأن كل الأنبياء كذبوا في أوطانهم ، وكذبهم ذووهم وعشيرتهم ، من لدن إبراهيم الخليل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبد الله عليهم صلوات الله وسلامه ، لقد كذب بنو إسرائيل موسى تكذيباً عملياً ، وهو قائدهم ومخلصهم من ظلم فرعون واستبداده . نهاهم عن عبادة العجل فعبدوه حين تغيب عنهم ليكلم ربه في الطور وقال لهم اعبدوا الله رب هذا الكون فقالوا : أرنا إياه ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ [3] وأمرهم أن يتركوا العمل يوم السبت فتركوا العبادة وذهبوا للصيد) [4] .

ولقي عيسى من تكذيب قومه الشيء الكثير ، ثم بلغ من إيذائهم له أن قدموه

---

(١) الإسلام والمستشرقون د . عبد الجليل شلبي ص ١٦ وانظر الموسوعة القرآنية للأستاذ إبراهيم الأبياري ص ٣١ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٢٤ .

(٣) سورة البقرة / ٥٥ .

(٤) الاسلام والمستشرقون ص ٣٥ عن كتاب تراث إسرائيل .

للمحاكمة وطلبوا صلبه ، أفيدل ذلك أيضاً على أن المسيح عليه السلام لم يكن مرسلاً من ربه ؟

ومن المعروف أن الذين حاربوا المسيح عليه السلام لم يكونوا أميين وليسوا من السذج وإنما كانوا من الصفوة ومن الرؤساء ومن العلماء .

ومن قبل كذب زكريا قومه وقتلوه ، وكذبوا يحيى وتمنوا الخلاص منه ، فلما قتل ظلماً سكتوا عن قاتله ، ولو لم يكونوا راضين عن هذه الفعلة لما سكت أعلام اليهود عن هذا الأمر الخطير .

وقد قال ورقة بن نوفل وكان على الحنيفية :(لم يأت أحد بمثل ما أتى به محمدﷺ إلا عودي) .

وبعد هذا كله نسأل هؤلاء المستشرقين : لماذا يرون أن محمداًﷺ هو الذي ليس له كرامة في وطنه من بين الأنبياء جميعاً ؟ ومحمدﷺ كان عالي القدر في قومه قبل بعثته ، وقد أطلقوا عليه اسم (الأمين) لما عرف عنه أنه سامي الأخلاق وشريف الخصال ونبيل المكرمات ، وكان يختار من قومه للفصل بين المسائل والخصومات .

لهذا كله نقول : إن المستشرقين لم يوفقوا في إلصاق اتهاماتهم في الإسلام ولا في نبيه الصادق ، ولم يوفقوا فيما وصلوا اليه من نتائج مفتراة .

الشبهة الثالثة :

الوسيلة التي انتشر بها الإسلام :

هل انتشر الإسلام بالسيف ؟ هذه مسألة يثيرها كثير من المتحاملين على الإسلام ، ولعل من له أدنى صلة بكتب السيرة يعرف مدى بطلان هذه الدعوة .

فقد ظل نبي الإسلام محمدﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الى التوحيد ، ولكن صناديد قريش يحولون بين الناس وبين تفهم الدعوة وقبولها . ومن تبعه من ضعاف القوم لقوا ما لقوا من إهانة وتعذيب وتنكيل ، وكانت الوفود تقدم مكة لتسمع رسول اللهﷺ ، ولكن قريشاً تتصدى لهم وتجبرهم على العودة قبل أن يلتقوا برسول اللهﷺ . . ثم هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين فراراً من

العذاب ، ثم كانت الهجرة إلى المدينة المنورة وأسست أول دولة إسلامية على وجه البسيطة ، واتخذت قريش موقف المقاتل تريد أن تستأصل الدعوة الإسلامية .

وقد باءت بفشل ذريع ، وكسرت جيوشها في بدر وفي الخندق . . وثبتت أركان الدعوة الإسلامية وارتفعت راية التوحيد عالية مرفرفة . . وستظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

ودخل المسلمون مكة فاتحين أعزاء أقوياء ، فما انتقم رسول الله ﷺ من رجل كان يناصب المسلمين العداء ، ويناهض دعوة الإيمان . ودخل الناس في دين الله أفواجاً . .

هذه لمحة موجزة عن قصة انتشار الإسلام ، فأين هذه الحقائق التاريخية الثابتة المدعومة بالأدلة المتواترة من ادعاءات المستشرقين الباطلة .

ولأي إنسان أن يوازن بين هذه الصفحات المضيئة والوقائع الفريدة ، وبين المواقف العنيفة المريعة التي سجلها أباطرة الرومان بدءاً من الامبراطور قسطنطين ليحملوا الناس على اعتناق الدين المسيحي .

ولليهود تاريخهم المشين الحافل بالمذابح والحروب الشرسة الطاحنة . لا من أجل نشر الدين اليهودي ، ولكن من أجل إجلاء الناس عن ديارهم وأوطانهم وممتلكاتهم ليغتصبوها اغتصاباً على مرأى من الإنسانية اللاهية . .

فماذا يكون هذا التاريخ القاتم الملطخ بدماء الأبرياء وآهات المظلومين المعذبين بغير حق ، من تاريخ متسامح تشرق فيه الرحمة الإنسانية والأخوة الإيمانية ؟ إننا لا نجد في يوم من أيام الإسلام الخالدة ولا في موقف من مواقفه الحاسمة مشهداً ينم عن تعصب ديني أو حقد دفين كلا ! وألف كلا ! .

يحدثنا المؤرخون أن رعايا الرومان في مصر قد مهدوا السبيل للفتح الإسلامي وقدموا لهم المساعدة تلو المساعدة لينقذوهم من ظلم الحكم الروماني وقسوته ، ويذكرون أيضاً أن سكان العراق قد رحبوا بدخول المسلمين فاتحين ليخلصوهم من حكم الفرس الغاشم ، وأن سوريا فتحت أبوابها لدخول المسلمين لينعموا بعدل الإسلام وقد حرموا منه منذ قرون طويلة .

وكان للمسلمين منهج واضح في الدعوة إلى التوحيد ، هذا المنهج يتضح لكل ذي بصيرة إذا قرأ الكتب التي أرسلها رسول الإسلام ﷺ إلى ملوك أهل الكتاب ، فقد كان ﷺ يخيرهم بين أن يدخلوا في الإسلام أو يظلوا على دينهم ويدفعوا الجزية . وإذا قبلوا دفع الجزية كان على المسلمين حمايتهم ، وتترك لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية . والدليل على ذلك معاملة الرسول ﷺ لوفد بني تغلب حينما قدموا إلى المدينة وكان منهم وثنيون أعلنوا إسلامهم ، ومنهم مسيحيون ظلوا على مسيحيتهم ، ومع انتشار الإسلام وتقدمه فقد ظل في هذه القبيلة عدد كبير من المسيحيين ، ولما جاء عمر بن الخطاب حذر من الضغط عليهم بأية وسيلة ، وأمر أن تكون لهم الحرية التامة في ممارسة شعائرهم الدينية ، ولكنه اشترط عليهم أيضاً ألا يحولوا بين أي فرد منهم وبين الإسلام إذا رغب أن يكون مسلماً ، ومن أسلم منهم فإن أطفاله مسلمون لا يعمدون . . وقد آثرت هذه القبيلة أن تدفع الزكاة بدلا من الجزية وتدخل في دين الله الذي حظيت في حماه بالحرية والكرامة الإنسانية .

أمثلة من مظاهر تحامل المستشرقين :

١ ـ اتهام الشريعة الإسلامية بالجمود وعدم المرونة .

يذكر بعض المستشرقين أن الشريعة الإسلامية جامدة ، وغير قابلة للتطور بسبب اقتصارها على الكتاب والسنة ، وضعف أثر الرأي والإجماع منذ القرن الحادي عشر الميلادي .

ولعل هذا القول مصدره تصورهم الفاسد من أن الشريعة الإسلامية مزيج من شرائع شتى ، وأن الإسلام نفسه مأخوذ من عدد من الأديان .

ونرد على تحاملهم هذا فنقول : إن الشريعة الإسلامية إنما تنهض على مصدرين أساسيين هما كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسول الله ﷺ المؤيد بوحي السماء ، ولو تخلت الشريعة الإسلامية عن أحد هذين الأصلين لما بقيت إسلامية .

ولو كانت الشريعة الإسلامية مقتبسة من الوثنية اليونانية ، أو من الديانات السابقة كما يتوهم الأعداء ظلماً وعدواً لما بقيت إلى هذا اليوم مبرأة من كل نقص

ومن كل سوء ومن كل شرك ومن كل فساد . . على حين أن غيرها من الشرائع قد تدنت في الفساد إلى أسفل السافلين عقيدة وخلقاً ونظاماً .

أقول إن القرآن الكريم قد وضع الأحكام العامة والمبادىء الكلية ، وترك للمجتهدين المسلمين فسحة لتفصيلات الأحكام وتفريع الفروع مما يتناسب مع كل بيئة وزمن وظرف . وفي إطار القرآن الكريم والسنة المطهرة تبنى الاجتهادات التي ما تزال رافداً خصباً من روافد الشرع الإسلامي .

ولهذا فقد كان لكل زمان حضارة ولكل بيئة اجتهادات . ومن آثار كثرة الاجتهادات وتعدد ضروبها وألوانها أن وجدت المذاهب الفقهية للأئمة الأربعة .

أما الأحكام الثابتة والأصول العامة للعقيدة والشريعة والأخلاق التي لا يؤثر فيها اختلاف البيئة والزمان فقد جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية مفصلة ، منظمة لكل كبيرة وصغيرة كأحكام المواريث ونظام الطلاق والعدة .

هذا الرد يكفي لبيان الأحكام الشرعية الثابتة ولبيان الأحكام الشرعية التي يمكن أن يؤثر فيها اختلاف المكان والزمان .

وأما إذا أراد المستشرقون بقولهم (إن الشريعة لا تتطور) عدم قابلية الأحكام الشرعية الثابتة أصلاً للتعديل والتبديل والتغيير من عدم جواز إباحة ما حرم الله كثبات تحريم الربا مثلاً أبد الدهر فهذا حق لأن التغيير والتطوير هنا تحريف قد سلمت الشريعة منه بحفظ الله لكتابه العزيز .

٢ ـ ذكر بعض المستشرقين أن نظام الحسبة في الإسلام قد نقل عن الساسانية ، وليس نظاماً نابعاً من الإسلام .

الحسبة هي أوجه الإصلاح العملي في حياة الناس ، أو هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [1]

---

(١) آل عمران . / ١٠٤

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تدعو إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد مر الرسول ﷺ برجل يبيع قمحاً فضرب يده في داخله فوجد به بللاً فنهى الرجل عن إخفاء القمح المبلل وأمره بإظهاره حتى يكون المشتري على علم بما يشتريه . . وقال عليه الصلاة والسلام (من غش فليس منا) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجول في الطرقات ليلاً ليسمع أقوال الناس عنه أو شكواهم منه فيصلح ما يمكن أن يكون قد غفل عنه ، أو ما عسى أن يكون في أعمالهم من خطأ أو في سلوكهم من انحراف ، ثم تطور نظام الحسبة في الإسلام حتى أصبح له رجال قائمون به يأخذون على أيدي الناس إذا وجدوا منهم إساءة .

فالنظام إذن ليس مستعاراً وإنما هو منبثق عن أصول الإسلام .

٣ ـ أنكر أحد المستشرقين واسمه (برتلو) أن تكون كتب الكيمياء اللاتينية التي تحمل اسم جابر بن حيان كتباً عربية الأصل كتبها رجل مسلم لمجرد أن أصولها العربية فقدت . . وهذا يدل على افتراء هذا المستشرق .

وقد رد عليه مسارطون قائلاً : إن أي شخص يعرف العربية لا يخطىء مطلقاً في اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية . إذ أن الأساليب تبدو واضحة من الترجمة اللاتينية سواء كانت لجابر أو لغيره [1] .

وهكذا جرى قلم المستشرقين لإثارة الشبهات وبلبلة الأفكار ، وتشويه الحقائق ودس الفتن .

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم :

لقد طرق المستشرقون كل الوسائل المتداولة لنشر آرائهم المضللة ودس أفكارهم المزيفة ومن أهم هذه الوسائل :

١ ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام وقرآنه ورسوله ، وكثيراً ما تحمل هذه الكتب عناوين جديدة لفتت أنظار المثقفين إليها ككتاب (دراسات

---

(١) أساليب الغزو الفكري للدكتور محمد علي جريشة وزميله ص ٣٥

إسلامية) و (العقيدة والشريعة في الإسلام) للمستشرق جولد تبهر وككتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) للمستشرق هـ . أ . ر . جب و (الإسلام والمجتمع الغربي) للمؤلف السابق .

٢ ـ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه

٣ ـ إلقاء المحاضرات في الجامعات والمجامع العلمية .

٤ ـ مقالات في الصحف المحلية والعالمية .

٥ ـ عقد المؤتمرات لإحكام خططهم الماكرة .

٦ ـ إنشاء الموسوعة الإسلامية والتي أطلقوا عليها اسم دائرة المعارف.

يقول د . السباعي رحمه الله تعالى .

(في هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام قد دس السم في الدسم ومثلت بالأباطيل عن الإسلام ما يتعلق به) [1] .

الصهيونية أو اليهودية :

إن من أخطر المذاهب السياسية والفكرية والدينية على وجه البسيطة وفي مختلف العصور والأزمان . الصهيونية أو اليهودية ـ ذلك لما تنسج من أوهام وخيالات تظنها حقائق ومعتقدات ، ديناً تتمسك به وتنادي أبناءها للالتفاف حوله . . فهي تعتقد زوراً وإفكاً أنها الشعب المصطفى المختار ، وأن الله وعدها بالتمكين في الأرض والتسلط على العباد والرقاب ، وامتلاك مواطن الثروة ومنابع الخيرات ، وهي من أجل هذا المعتقد الباطل ترسم خطة وتحدد سياسة ، وتضع منهجا ، تلزم البشرية كافة باتباعه ، والسير وفقه ، وتشرد شعوباً من أوطانها وتحتكر أقوات الملايين من الناس ، وتجردهم من حقوقهم الطبيعية . . كل هذا تفعله الصهيونية بخبث ودهاء ، بل قل إنها تفعل أكثر من ذلك لتصل إلى أطماعها الاقتصادية وتحقق أفكارها التوسعية ، وأحقادها الدفينة على الإنسانية . .

والصهيونية حركة سياسية وقومية ترمي الى إقامة دولة يهودية ، تزعمها (تيودور هرزل) حين دعا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الى عقد مؤتمر

---

(١) أضواء على الحركات الهدامة (الاستشراق والمستشرقون) للدكتور السباعي . ص ١٣

صهيوني دولي في مدينة (بال) بسويسرا وقرر المؤتمر تكوين منظمات صهيونية في البلاد التي يوجد عدد كاف من اليهود وترتكز هذه الحركة في جوهرها ـ على عقيدة دينية ـ أخرجها الوهم المتطرف والخيال الخرافي عن أصلها السماوي وحقيقتها الأولى ، وأصبحت فكرة مشوشة مشوهة وضعية غير إلهية . . ومع هذا فإن أهلها يعتبرونها عقيدة دينية محضة يؤمنون بها من غير تدبر أو وعي أو إدراك .

ولو درسنا اليهود كشعب له صفاته وخصائصه المميزة لوجدناه شعباً شريراً آثماً خائناً مرائياً ملتوياً خبيث الطوية ماجن السلوك والسيرة ، جباناً ، متعصباً مغروراً ، نهماً ، جشعاً ،متكالباً على المكاسب والمغانم شديد السلب والنهب ، مهيناً يخفر العهد ويبيع الذمة ، وينقض الميثاق من أجل عرض من أعراض الدنيا ، كنفوذ أو جاه أو سلطان ، شعب يثير الفتن والضلالات دائماً ويبيت المؤامرات ضد الأمم الأخرى والشعوب الآمنة .

وهم يعتقدون أنهم يعصون الله ويفعلون ما يغضبه ويسخطه ، لذلك نجدهم يتخذون بعض أيامهم للبكاء والعويل والصياح والنياحة . . فإذا ما ظنوا أن الله قد تاب عليهم عادوا إلى أبشع ما كانوا عليه من شرور وآثام ، وضلال وانحلال وانحراف .

جاء في أحد كتبهم : (قد خطئنا إلى الرب إلهنا ، ولم يرتد سخط الرب وغضبه عنا . . لنا خزي الوجوه ، لرجال يهودا وسكان أورشليم ولملوكنا ورؤسائنا وكهنتنا وآبائنا ، لأننا خطئنا أمام الرب وعصيناه من يوم أخرج الرب آباءنا من أرض مصر الى هذا اليوم ، ما زلنا نعصي الرب إلهنا ، ونعرض عن استماع صوته ، فلحق بنا الشر واللعنة لم نسمع لصوت الرب إلهنا ولا لجميع كلام الأنبياء الذين أرسلهم إلينا ومضينا كل واحد على إصرار قلبه الشرير ، عابدين آلهة أخرى ، صانعين الشر أمام عيني الرب إلهنا) [1] .

واليهود مع ما يتصفون به من صفات منحطة ذميمة حقيرة ، وبالرغم من لؤم طباعهم ، فإنهم ينظرون إلى الشعوب الأخرى نظرة ازدراء واحتقار ، وتسيطر

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٣١

عليهم نزعة شريرة حاقدة تدفعهم لقتل الآخرين والتنكيل بالأبرياء ، وإبادة الجماعات وإحراق الديار ، وإشعال النيران في المدن والحقول ، لا يمنعهم من ذلك دين أو ضمير ، ولا تأخذهم رحمة ولا رأفة . . وقد يظن ظان أن وراء هذا التقتيل شجاعة وإقداماً ، ولكن هيهات أن تعرف الشجاعة إلى نفوس اليهود سبيلاً وإنما هم جبناء ، وإنه لا يكون متوحشاً شرساً إلا الجبان ، أما الشجاع فلا يكون إلا كريماً حليماً رحيماً شهماً ، يأنف من مهاجمة الضعيف ويعفو عن القوي إذا وقع في قبضته .

واليهود يبنون عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم على ثلاث كتب :

(١)التوراة . (٢) التلمود . (٣) البروتوكولات .

الأول : التوراة :

جاء في دائرة المعارف البريطانية : (التوراة ليست كتاباً واحداً ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب ، استغرق تأليفها قروناً عديدة . وإنها لم تكتب بلغة واحدة ولكنها كتبت بالعبرية ثم استكملت باللغة الآرامية . وضمت آخر كتبها باللغة الإغريقية ، وقد اشترك في كتابتها رجال لهم قدر من العلم وآخرون حظهم من المعرفة ضئيل) [١]

وهناك من يرى أن التوراة الأولى كتبت باللغة المصرية القديمة ، لأن موسى عليه السلام كان يتحدث الهيروغليفية .

والتوراة تبين تعاليم الديانة اليهودية .

وقد اعتبر بعض اليهود أن اليهودية ديانة وضعية (شأنها شأن جميع الديانات التي انتشرت في المنطقة خلال العهد الوثني وعلى رأس أصحاب هذا الرأي (سيجموند فرويد) الذي ذكر في كتابه (موسى والوحدانية) بأن موسى كان زميلا لأخناتون في المعهد العالي للدراسات اللاهوتية في مدينة هليوبوليس ، وقد انتهت أبحاث ذلك المعهد إلى وجود خالق للكون هو الله . وبأن هناك بعثاً

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٣١ .

وجزاء) [1] .

وهناك من يرد سبب تحريف التوراة إلى أنها جمعت خلال فترات طويلة تمتد إلى ثمانية قرون .

وقد أصبح معروفاً لدى كافة العقلاء وهو ما نجزم به نحن المسلمين ذلك لما ملئت به التوراة من تناقضات وتُرَّهات وخرافات لا تليق بالوحي الكريم ولا برسالة السماء ورسل الله [2] .

وقد صورت التوراة الله ـ سبحانه عما يقولون ـ إلهاً خاصاً ببني إسرائيل لا يحب سواهم . فالله في التوراة ـ إله خاص ـ لا يحب إلا بني إسرائيل ، وأما سائر الناس فأغنام وأقل من أن يأبه بهم الرب .

والأنبياء في التوراة يفعلون الفاحشة التي يتنزه عنها الإنسان العاقل سليم الفطرة ، فضلا عن صالح المؤمنين فضلاً عن النبي المعصوم .

﴿ وإنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً ﴾ [3] .

وتدعي التوراة المحرفة أن السحر قادر على تغيير صورة الإنسان إلى حمار مثلاً أو العكس .

فهل يمكن أن يكون هذا كتابا إلهياً مقدساً جاء لتعريف البشرية بالله ولهدايتهم إلى الطريق المستقيم ؟

هل يمكن أن يكون كتاباً مقدساً من يقول : (يستحق القتل كل (الجوييم) ـ غير اليهودي ـ حتى ذوو الفضل منهم) ويقول :

(من قتل غير يهودي فقد قدم قرباناً للرب)

ولنأخذ بعض النماذج لنصوص التوراة ، نناقشها مناقشة علمية منطقية ، لعله يستبان على ضوئها مدى بشاعة التصحيف والتحريف التي وصلت إلى التوراة فغيرتها عن موضوعها وهدفها تغييراً كاملاً .

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٣١ .

(٢) الفصل لابن حزم ١ / ٢٢٤ .

(٣) المجادلة / .

(١) بنو إسرائيل في التوراة :

تقول التوراة عن بني إسرائيل :

(عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدو البعليم . . . والعشتاروت . . . وآلهة آدام . . وآلهة صيدوم . . . وآلهة موآب . . . . وآلهة بني عمون آلهة الفلسطينيين . . . وتركوا الرب ولم يعبدوه) .

(يقول الرب : أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى) [١] .

(٢) الغريزة الجنسية في التوراة :

هناك أناشيد في التوراة تمزج بين الجنس والدين تأثراً بالعقائد الوثنية التي كانت منتشرة حينذاك في المنطقة .

جاء في الإصحاح الثالث : (في الليل . . على الفراش . . طلبت من تحبه نفسي . . طلبته فما وجدته . .

إني أقوم وأطوف في المدينة ، في الأسواق ، في الشوارع أطلب من تحبه نفسي . . طلبته فما وجدته . .

وجدني الحرس الطائف في المدينة . فقلت أرأيتم من تحبه نفسي ؟ فما جاورتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته . .

أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا توقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء) [٢]

وعلى هذا فقد ملئت التوراة بقصص الجنس والأخلاقيات المنحطة البذيئة ، حتى أنه يبدو لمن يقرأ أية نسخة للتوراة أن الذين أضافوا إليها ما أضافوا من زيادات ما أنزل الله بها من سلطان ، كانوا متأثرين إلى حد كبير بالجنس ،

---

(١) عن كتاب أضواء على الصهيونية ص ٣٥

(٢) أضواء على اليهودية للأستاذ مصطفى السعدني ص ٥٠ .

وبالأساطير اليونانية التي تدور حول تصوير العلاقة بين المرأة والرجل على أنها غرائز ونزعات جنسية فقط .

(٣) الجاسوسية في التوراة :

وتتحدث التوراة عن الجاسوسية على أوسع مدى وتعتبرها من الأعمال الدينية الشريفة لأنها مقتبسة من أنبيائهم ، كما يتصورها العقل اليهودي الهابط في بؤرة الفساد والضلال . يقول أحد النصوص الواردة في سفر يشوع : (وقال يشوع للرجلين اللذين نجسا الأرض ، ادخلا بيت المرأة وكلا ما لها كما حلفتما لها . . وأحرقوا المدينة . بالنار مع كل ما فيها) [١]

وهكذا فإن الخيال اليهودي الغارق في البعد عن الحقيقة والمنطق يتصور أن النبي يدعو الى الجاسوسية وإلى إحراق المدينة بكل ما فيها من ممتلكات وأموال ، وبكل من فيها من أناس . . ولهذا فإن التجسس على الناس وتلقط الأخبار وبيعها يعتبر لديهم من الأعمال المقدسة التي يجب أن يتوارثوها أباً عن جد ، وأن يربحوا من ورائها الأموال الطائلة كما يربحون من المتاجرة بأنفس البضاعة وأندرها .

وقد فطن القادة الكبار منذ العصور القديمة إلى هذه النزعة المتأصلة في نفوس اليهود ، فاستخدموهم للجاسوسية في حالة عزمهم على غزو بلد من البلدان ، ومن الذين استخدمهم لهذا الغرض الاسكندر الأكبر .

وللجاسوسية لدى اليهود حافزان أحدهما حافز ديني ، فهم يعتقدون أن سرقة الأخبار وإذاعتها مطلب ديني فيه تحقيق لأمر التوراة ، والآخر مادي دنيوي ، وهم حريصون كل الحرص على سلب الأموال وأخذها بحق وبغير حق من أيدي الناس واحتكارها في أيديهم .

ولليهود اليوم دور خطير في وكالات الأنباء والمخابرات العالمية ، فلا يكاد يوجد جهاز للمخابرات في الكتلة الشرقية أو الغربية في العالم الرأسمالي أو الاشتراكي إلا ولليهودية فيه النصيب الأكبر . . حتى إن جهاز المخابرات الأمريكية يكاد يكون كتلة يهودية قائمة بذاتها ، قلباً وقالباً ، سياسة وتوجيهاً وتخطيطاً .

---

(١) من كتاب أضواء على الصهيونية ص ٥٠

تتحرك حركة واحدة وتسير في اتجاه يخدم المصالح اليهودية في كل الدول ، وهذا ما دعى أحد المسؤولين للقول إن السياسة الأمريكية في حقيقتها ما هي إلا تنفيذ حرفي لبروتوكولات صهيون .

(٤) التعصب للجنسية اليهودية :

تشير التوراة التي في أيدي اليهود الى التعصب لجنسهم وتجعل منهم شعباً متميزاً عن سائر الأجناس ، وتطالبهم بالانفصال عن شعوب الأرض .

ففي أحد الأسفار النصوص التالية :

(ودخلوا في قسم وحلف أن يسيروا في شريعة الله التي أعطيت على يد موسى وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرب وأحكامه وفرائضه ، وأن لا نعطي بناتنا لشعوب الأرض ، ولا نأخذ بناتها لبنينا) [١]

وهذا يدل على أن التمييز العنصري قد استمد وجوده من التوراة المحرفة وأن أول شعب دعا للتمايز بين الأجناس والأقوام هم اليهود ، بل إنهم يوغلون في التفريق بين الشعوب فيعتبرون أن سائر الأجناس غير اليهودية رجس ونجس .

(٥) تعارض التوراة مع المنطق :

ومع الحقائق العلمية الثابتة ، من ذلك مثلا ما جاء في سفر التكوين عن نشأة اللغات :

(وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة ، وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في الأرض (شنعار) وسكنوا هناك . . وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ونشويه شياً فكان لهم اللبن مكان الحجر ، وكان لهم الجمر مكان الطين وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذين كان بنو آدم يبنوهما، وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل . . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه ، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا

---

(١) سفر نحيا (انظر أضواء على الصهيونية ص ٥٧)

يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ، ومن هنا بددهم الرب على وجه الأرض) [1]

فهذا التفسير لنشأة اللغات لا يتفق مع الحقائق العلمية لتطور اللغات وأخذها وضعها الثابت لها .

ومن هنا يتضح وضوحاً كاملاً لكل ذي بصيرة ونظر التحريف الشديد الذي عبث في التوراة فطمس معالم التوحيد فيها ، وأطفأ نور الهداية منها وأخرج للناس كتاباً يثير الضحك والسخرية ، والاشمئزاز والكراهية من أولئك الذين سولت لهم أنفسهم أن يشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ، وأن يقولوا زوراً وبهتاناً : (هذا من عند الله وما هو من عند الله) . قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيديهِمْ ثُمَ يَقُولونَ هذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا به ثَمناً قَليلاً ، فَوَيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أيديهِمْ وَوَيلٌ لَهُمْ مِمَا يكسِبونَ ﴾ [2]

وقال جل من قائل : ﴿ فَبَدَّلَ الذينَ ظَلَمُوا قَولاً غَيْرَ الذي قيل لَهُمْ فَأَنْزَلنا عَلَى الذين ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بما كَانُوا يَفسُقُونَ ﴾ [3]

كيف تم التحريف :

إننا نؤمن إن الله تبارك وتعالى قد خاطب موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور ليحكم أصحابها بما ورد فيها من شريعة ، ولكننا ننكر أن تكون التوراة التي في أيدي اليهود اليوم هي التوراة الموحى بها من عند الله تعالى وذلك لأسباب جوهرية أصلية ، منها ما رأينا من مقالات يتندى من تدانيها جبين الإنسانية خجلاً وحياء ، هذا من جهة الموضوع . أما من جهة الأسلوب والصياغة ، فإن كل من يطلع على التوراة ويقرأ ما فيها يدرك تماماً اختلافات شديدة في الأسلوب والتعابير فضلاً عن تناقض الأفكار وتضارب نصوصها بعضها بعضاً . . وأن هذا الاختلاف والتناقض ما كان ينبغي أن يصدر عن إنسان حصيف

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٥٢

(٢) من سورة البقرة الآية / ٧٩

(٣) من سورة البقرة الآية / ٥٩

متزن فضلاً عن نبي مصطفى ، فكيف ينسب إلى الله ، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

ولكن ما السبب في هذا التغيير والتبديل ؟

يذكر علماء تاريخ الأديان أن التوراة قد كتبت بلغات متعددة منها الهيروغليفية (الفرعونية القديمة) ومنها العبرية ، والآرامية والإغريقية . . وإن كتاباً يكتب بهذه اللغات المختلفة ، ثم يترجم في وقت لم تكن الترجمة ميسرة ، ولا التعليم واسع النطاق منتشراً بين الناس ولا الطباعة معروفة ، ولا المخلصون القائمون به وعليه موجودين ، ولا العهد بين موسى عليه السلام وكتابة التوراة قريباً ، بل إنه لم يكتب إلا بعد مرور ستمائة سنة على وفاة موسى عليه السلام . . كل هذه العوامل كفيلة بأن تؤكد حصول التحريف والتحصيف بل التبديل والتغيير .

ويذكر علماء تاريخ الأديان أن ملك بابل (بختنصر) قد حاصر القدس وخربها وأحرق هيكل سليمان بكل ما فيه حتى ألواح التوراة . ويؤيدون قولهم بما ورد في التوراة : (في الشهر الخامس في سابع الشهر ، وهي السنة التاسعة عشرة للملك (بختنصر) ملك بابل ، جاء (نبوزرادان) رئيس الشرطة (عبد ملك بابل) إلى أورشليم وأحرق بيت الرب بيت الملك وكل بيوت أورشليم وأحرق بيوت العظماء أحرقها بالنار)[1] .

وعلى هذا فلم يبق لليهود توراة يتمسكون بها ويرجعون إليها ، ولم يجدوا جداً واحداً حافظاً للتوراة يرجعون إليه ليذكرهم بما ورد في كتابهم الذي أحرق ، واختفت بإحراقه كل نسخة وكل أثر لما روي عن النبي موسى عليه السلام .

وقد سبي اليهود وليس في أيديهم مرجع واحد يحفظ عليهم دينهم ، فمما لا شك فيه أن يتأثروا بالديانات الوثنية المنتشرة آنذاك ، كالديانة الفارسية والبابلية ، فشربوا من عقيدتها وأخلاقها . . . وبعد حين من الدهر خطر على بالهم أن يكتبوا كتاباً يحفظ عليهم عنصرهم اليهودي ، فكتبوا (التلمود) وقد أملى عليهم هذا

---

(١) من كتاب أضواء على الصهيونية ص ٥٧ .

الكتاب حقدهم الدفين على البشرية ، وحرصهم في أن يعيدوا تجمعهم وأن يتخلصوا مما لاقوا من ظلم حكام بابل . ثم جاء الكاهن (عزرا) ووضع كتاب (التوراة) معتمد على التلمود أولاً ، وعلى بقايا أسفار من التوراة عثروا عليها مع كهنة في بلاد بابل .

وبعد هذا العرض يتبيّن أن توراة موسى عليه السلام قد محيت من الوجود وحل محلها (توراة عزرا) المتأثر تأثراً بالغاً بالأساطير الفارسية والبابلية عقيدة وخلقاً .

ثانيا ـ التلمود :

هو الكتاب الثاني لليهود ، وتأثيره أخطر من التوراة ـ ذلك لأن التوراة حرّفت وغيرت أما التلمود فلم يكن له وجود أصلاً . وإنما نسجته تصورات اليهود الخاطئة ، وأفكارهم الحاقدة ، ونفوسهم الشريرة ، وخيالاتهم المتأثرة بالوثنية الفارسية والبابلية ، وغرائزهم الطائشة التي لا يقيدها خلق ولا تهذبها قيمة .

والتلمود كلمة عبرية ، قيل إن معناها التعليم . وقد انطلقت فكرة تدوين التلمود من رأس أحد كهان اليهود بعد السبي البابلي ، عام (**٥٣٩** ق . م) ثم تأسست لجنة عدد رجالها (**١٢٠**) رجلاً لمتابعة ذلك الكاهن في كتابة التلمود ـ وقد عرفت هذه اللجنة (بالثنائم : لأنها تجعل كتابهم المقدس في كتابين اثنين التوراة والتلمود ، واستمرت الإضافات والزيادات والأوهام تزيد في هذا المؤلف المخترع حتى القرن الثاني بعد الميلاد .

ولليهود اعتقاد غريب في (التلمود) هو أن هذا الكتاب ـ مع معرفتهم الأكيدة بأنه اختلاق وافتراء ـ قد وجد قبل الخليقة ، ولولاه لزال الكون بأسره .

وقد أثر (التلمود) تأثيراً دينياً وثقافياً وسياسياً على اليهود ويظهر التأثير الديني بتحول عقيدتهم من التوحيد إلى الشرك الممزوج بالأساطير والخرافات ، فاليهود يخشون الحاخامات أكثر مما يخشون الله ، وأن الله ـ في معتقدهم الفاسد ـ قد أخطأ ، واعتذر للحاخامات الذين كتبوا التلمود ، وأن الأحبار أفضل من الأنبياء . . ومن وصايا التلمود :

(١) مخافة الحاخامات هي مخافة الله .

(٢) أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء .
(٣) لا يمكن نقض تعليمات الحاخامات ولو بأمر من الله .

(وأن القمر تظلم من بهوا) رب اليهود لأنه خلقه أصغر من الشمس . . فقبل تظلمه واعترف بخطئه وسوء تدبيره . وقال اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس .

والأثر الثقافي الذي أورثه (التلمود) في نفوس اليهود يظهر في حرص الأحبار على تعليم أجيالهم اليهودية التلمود ، واعتباره أساساً لوحدتهم القومية . وأنهم هم وحدهم شعب الله المختار ، وفيهم كل خصال القوة والنباهة والذكاء والحذق التي تخولهم للتغلب على الشعوب الضعيفة واستغلال خيراتها والتسلط على ممتلكاتها .

ويظهر الأثر السياسي بمحاربتهم العلنية أو الخفية لكل أنظمة الحكم إن لم تكن موالية لهم أو متآزرة معهم .

ولعله من الأهمية بمكان أن أذكر هنا صوراً من التعليمات اللئيمة للتلمود :

(١) محاربة التلمود للنظام الأسري والملكية الخاصة والطبقة المتوسطة . فإن التلمود يحارب النظام الاجتماعي (للجويم) الذي يقوم على أساس الأسرة والدين وامتلاك الممتلكات الخاصة ، كما يحارب وجود الطبقة الوسطى في المجتمع . ولعل (كارل ماركس) قد تأثر تأثراً كبيراً بالتلمود حينما دعا إلى مبادئه الماركسية .

(٢) إهدار كرامة المرأة :

لقد أساء التلمود للمرأة أيما إساءة فاعتبرها صورة صارخة للجنس ، ولم يرع نسباً ولا رحماً . فقال في أحد تعاليمه :

(من رأى أن يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أن يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل) .

ويحث في بعض مواضعه على الزنا بغير اليهوديات فيقول : (إن الزنا بغير اليهود ذكوراً أو إناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب (وهم غير اليهود) من

نسل الحيوانات)[1] .

وهكذا يتدنى الخلق اليهودي إلى أسفل السافلين .

(٣) افتراءاتهم على مريم العذراء وعيسى عليه السلام :

يقول التلمود : (يسوع الناصري ـ عيسى عليه الصلاة والسلام ـ ابن غير شرعي ، حملته أمه وهي حائض سفاحاً من العسكري بانـدادا . وهـو كذاب ومجنون ، ومضلل وساحر ، ومشعوذ ووثني ومخبول)[2]

و(مات يسوع كبهيمة ودفن في كومة قذر) .

الديانة المسيحية ديانة غريبة وثنية ، وهي كالمرأة النجسة تلوث كل من يتصل بها) .

و(أتباع يسوع يطرحون بعيداً كما تطرح خرق حيض المرأة) .

ويسمى (التلمود) (الأناجيل) سجلات الشر ، والصلوات المسيحية خطايا وآثاماً ،وأعيادالمسيحيين كارثة وهلاكاً وأيام الشيطان ، ولم يترك التلمود أمراً يتصل بالمسيح عليه الصلاة والسلام أو بالمسيحيين إلا جعله سبة لهم . وانتهى به المطاف أن جعل قتل المسيح أو ايذاءه أو إضراره قربى من القربات .

وبعد ، فأي كتاب هذا الذي يلتف اليهود حوله ويعتبرونه أصلاً ثابتاً من أصول الدين والاجتماع ، والثقافة والسياسة ؟ أفلا يتدبرون في فساده وعظم تجني كاتبيه على العقول الساذجة البسيطة ؟ أم انها عماوة الضلال ، وغباء الشرك ، وجهالة الأفئدة ، وخواء الروح ؟

ثالثا : البروتوكولات :

ثبوت البروتوكولات

يذكر أنه في عام (**١٩٣٥**) م نشر (تيودور فيشر) صاحب المكتبة الألمانية

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٨١ .

(٢) انظر كتاب مؤامرة الصهيونية على العالم ص ٩١ .

في جنيف كتاباً يحتوي على بروتوكولات حكماء صهيون ، فلجأ اليهود إلى المحكمة لوقف بيع ذلك الكتاب . . وكان الحكم الابتدائي لصالح اليهود ، ولكن (فيشر) استأنف الحكم واهتم بالقضية واستطاع أن يقدم الوثائق الرسمية التي تثبت صحة البروتوكولات ومن بينها وثيقة رسمية استخرجت من المتحف البريطاني تؤكد أن البروتوكولات قد أودعت في محفوظاتها منذ عام (١٩٠٦) - كما ثبت لقضاة محكمة برن العليا أن اليهود استعانوا بشهود تحقق كذبهم وتزويرهم ، كما ثبت أيضاً أن القاضي الذي أصدر الحكم الابتدائي كان عضواً في المحفل الماسوني[١] .

جاء في البروتوكول الأول :

(والسياسة نقيض الأخلاق ولا لقاء بينهما ، والحاكم الذي يدين بالأخلاق في حكمه ليس بالسياسي الحاذق ، وعرشه ليس بالعرش الثابت ، ويجب على من يريد أن يتسلم الحكم أن يتزود بالمكر والرياء ، وأما الفضائل الإنسانية كالصدق والاستقامة فهي في عرف السياسة رذائل هي أقدر على هدم العروش من أشد الأعداد ضراوة وفتكاً) (والوحيد الذي يستطيع فهم السياسة هو من أعد منذ نعومة أظافره إعداداً خاصاً للحكم الفردي المطلق) .

(وأما شعارنا فهو القوة والرياء ، ففي الأمور السياسية يكون النجاح وليد القوة وبخاصة عندما تكون القوة اللازمة لرجل السياسة مطلية بالعبقرية التي تسترها ويجب أن يكون العنف مبدأ ، قاعدته الرياء والمكر في السيطرة على الحكومات التي تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام ممثل القوة الجديدة ، وهذا الشر هو الوسيلة الوحيدة إلى الخير) .

وجاء في البروتوكول الثاني :

(نجاح مخططنا وقف على ألا ينجم عن الحروب أي تغير في الحدود أو التوسع في الأرض ، ويجب الاحتفاظ بهذا المبدأ ما وسعنا ذلك حتى يتيسر نقل الحروب من ميدانها القتالي إلى منافسة اقتصادية ، وعندئذ تضطر الأمم إلى

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ١٣١ وللمسألة تفصيل في كتاب (الخطر الصهيوني أو بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي .

الاعتراف بقوة سلطاننا وتفوقنا في هذا المضمار ، وتبعاً لذلك يضطر الفريقان المتحاربان إلى أن يضعا نفسيهما تحت أمر عملائنا الدوليين الذين لهم ملايين الأعين الحادة القادرة على اختراق حجب الحدود وبذلك تقضي حقوقنا الدولية على الحقوق القومية . . وستتولى حقوقنا الدولية الحكم بالقوة نفسها التي يحكم بها القانون المدني الشعب الذي يدين فيه)[1] .

وجاء في البروتوكول الثالث :

(لقد حرصنا على أن تقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة ، فإن كل ما يسمى (حقوق البشر) لا وجود له إلا في الشعارات التي لا يمكن تحقيقها عملياً . . .

نحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية .

إن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل ومرضه دائمين لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا .

إننا نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا .

إن المسيحيين من الناس في خستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا حينما يخرون راكعين أمام القوة ، وحينما لا يرثون للضعيف ولا يرحمون في معالجة الأخطاء ، ويتساهلون مع الجرائم . . حين نستحوذ على السلطة نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء ، ولكنه يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم ، وفي تلك اللحظة يكون يسيراً علينا أن نستعبدها وأن نسخرها . . .)[2] .

---

(١) مؤامرة الصهيونية على العالم تأليف أحمد عبد الغفور عطار ص ٧٦ .

(٢) أضواء على الصهيونية ص ١٤٦ وما بعدها .

وهكذا تستمر البروتوكولات الأربعة والعشرون[1] كل منها يشير إلى تخطيط يهودي مدمر في مجال من مجالات الحضارة الإنسانية حتى ينتهي بالبشرية إلى الصغار والهوان وعندئذ يتسنى لليهود أن يحكم العالم .

ويمكننا أن نلخص الأهداف الخطيرة التي يسعى اليهود لتحقيقها تنفيذا لبروتوكولات صهيون في النقاط التالية :

١ ـ الإفساد في ميادين الثقافات العامة والفنون والتمثيل : ذلك لأن الثقافة العامة في صورتها الصحيحة ووضعها السليم وأسسها الفكرية وسيلة هامة لرفع مستوى الأمم والجماعات فكرياً وحضارياً . فرآى اليهود أن استغلالهم لهذا الميدان يعتبر مجدياً ومحققا لأطماعهم العدوانية ، فراحوا ينشرون الأسس الفكرية الفاسدة ويوحدون النظريات الثقافية المتناقضة .

جاء في البروتوكول التاسع :

(وقد تمكنا من تضليل الشبان من غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها) .

وفي البروتوكول الثالث عشر :

(ولكن نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن نكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جراً .

وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات ، كالفن والرياضة مما إليها . . .)[2] .

٢ ـ الإفساد في ميادين العلاقات والروابط الاجتماعية :

تنفيذاً للمخطط اليهودي الماكر الذي يمهد إلى تجزئة الشعوب والأمم ، فإن لليهود نشاطاً واسعاً مخرباً في ميادين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد

---

(١) المصدر السابق وانظر مؤامرة الصهيونية على العالم .

(٢) مكايد يهودية عبر التاريخ عبد الرحمن الميداني ص (٣٤٤) ـ أضواء على الصهيونية ص ١٧٨ .

والجماعات ، وذلك ببث عوامل الشقاق بين الناس ، وغرس بذور الخلاف والخصام والعداء وإثارة الأحقاد والضغائن والحزازات القومية والطبقية والحزبية ، وغير ذلك من الأمور التي تقوم على المصالح الخاصة ، فينشأ عن هذه الأحوال عوامل نفسية تؤدي إلى تقسيم الأمم والمؤسسات والجماعات إلى أقسام شتى ، كل قسم يرغب في أن تكون له السيادة والزعامة على حساب تحطيم الأقسام الأخرى ، وتعمل المساعي المادية لتحقيق السيادة ـ المطلوبة فيقع الصدام الحتمي ، والحروب العدوانية ، وتتبدد طاقات الأمة وعندئذ يجد اليهود ثغرات مناسبة لمد نفوذهم . وجمع المكاسب المادية .

يقول البروتوكول العاشر :

(علينا أن ننهك كل إنسان بالمنازعات والعداوات ، والحزازات والحروب ، والمجاعة وانتشار الأوبئة ، والعوز والفاقة ، حتى يجد غير اليهود أن لا مناص لهم من مناشدتها العون المادي والسلطان)[1] .

ويقول البروتوكول الرابع :

(لقد بذرنا الخلاف بين الناس بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ، ومن هذا كله تتقرر حقيقة : هي أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سنداً ـ من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا ، لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي)[2] .

ويقول البروتوكول الخامس :

(هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات وفي تفكيك كل القوى المتجمعة)[3] .

٣ ـ افتعال الأزمات الاقتصادية :

تعتمد خطة اليهود لافتعال الأزمات الاقتصادية على عنصرين :

---

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ ص ٣٥١ .

(٢،٣)مكائد يهودية عبر التاريخ ص ٣٥١ ـ وما بعدها بتصرف .

الأول : احتكار العملة وسحبها من التداول ، وذلك بمختلف وسائل الاحتكار المصرفي العالمي ، الأمر الذي يوقع الناس في ارتباك ناجم عن فقد السيولة النقدية .

الثاني : إلجاء أرباب العمل إلى طلب قروض من اليهود المحتكرين للذهب وغيره من العملات النقدية ، مقابل فوائد ربوية يحصل عليها اليهود وهذه القروض تضع أعباء ثقيلة على المدينين لهم .

يقول البروتوكول العشرون :

(إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في بلاد (الجوييم) قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول ، فتراكمت ثروات ضخمة ، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستنجاد بمالكي هذه الثروات لإصدار قروض .

ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها إلى دفع فوائد المال المقترض ، مكبلة بذلك أيديها . .)

(وأظنكم تعرفون أن العملة الذهبية كانت الدمار للدول التي سارت عليها ، لأنها لم تستطع أن تفي بمطالب السكان ، لأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول .

إن كل قرض ليبرهن على ضعف الحكومة وخيبتها في فهم حقوقها التي لها . . وإن القروض الخارجية مثل العلق الذي لا يمكن فصله من جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه . أو حتى تتدبر الحكومة كي تطرحه عنها ، ولكن حكومات (الجوييم) لا ترغب في أن تطرح عنها هذا العلق ، بل هي تزيد عدده وبذلك كتب على دولتهم أن تموت قضاياها عن نفسها بفقر الدم . .

فماذايكون القرض الخارجي إلا أنه علقة ؟

القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب الالتزام بدفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلي للمال المقترض .

فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة ففي عشرين سنة ستكون

الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغاً يعادل القرض ، لكي تغطي النسبة المئوية وفي أربعين سنة ستكون قد دفعته ضعفين وفي ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار ، ولكن القرض سيبقى ثابتاً كأنه دين لم يسدد)[1] .

وفي البروتوكول السادس :

(سنعمل على تقويض الإنتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر ، كما أنه لا بد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير اليهود من وجه البسيط)[2] .

٤ ـ القضاء على الاديان :

جاء في البروتوكول الرابع :

(إن الناس المحكومين بالإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية هيئاتهم الدينية ، وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة ، تحت إرشاد أئمتهم الروحيين ، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض ، ولهذا السبب يتحتم علينا أن نزرع الألغام لتهديم الإيمان ، وأن نمحو من عقول غير اليهود مبادىء الله والروح ، وأن نبذل هذه المبادىء بحسابات رياضية ورغبات مادية)[3] .

وجاء في البروتوكول الرابع عشر :

(عندما نصبح أسياد الارض لا نسمح بقيام دين غير ديننا ، ومن أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد ، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا اليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين ، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلك مثلا للاجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى ، هذا الدين الذي فرض علينا مبدأه الثابت النابه ووضع جميع الأمم تحت أقدامنا) .

---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ ص (٣٥٥) .

(٢) عن كتاب أساليب الغزو الفكري ص (١٧٣) .

(٣) عن كتاب مكايد يهودية ص ٣٠٥ وانظر أضواء على الصهيونية ص ٢٠٨ .

وفي البروتوكول السابع عشر :

(لقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود ، والحط من قدرهم في نظر الشعب ، وأفلحنا كذلك في الاضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها ، حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام . . . وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافهاً ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاتراً الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا)[1] .

ويقول البروتوكول الرابع :

(يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية) .

٥ ـ إفساد الرأي العام ومحاولة السيطرة على وسائل الاعلام

يقول البروتوكول الخامس :

(ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق) .

ويوصي أيضاً :

بـ (مضاعفة الأخطاء التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيراً سليماً وسط تلك الفوضى ، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا . . . وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب ، وعلى حل الجماعات القوية وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردي يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

ويقول البروتوكول الثاني :

(نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود)[2] .

---

(١) عن كتاب أساليب الغزو الفكري ص ١٧٤ وأضواء على الصهيونية ص ١٩٦ .
(٢) مكايد يهودية عبر التاريخ . ص ٩٦ .

٦ ـ إشاعة الفتن بين شعوب العالم ، وإشاعة الفوضى في كافة مجالات الحياة :

جاء في البر وتوكول الخامس :

(إننا نقرأ في قاموس الانبياء أن الله اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل) .

وفي البر وتوكول الحادي عشر :

(غير اليهود كقطع من الاغنام أما نحن فاننا ذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها . إنها تغمض عينيها وسندفعهم الى ذلك) .

الجمعيات اليهودية

لقد أنشأ اليهود عدداً من الجمعيات للعمل على تنفيذ خططهم العدوانية الاستخرابية . وكان من هذه الجمعيات ما هو سري للغاية ، لم يعرف عنه إلا بتصريحات أدلى بها بعض المسيحيين الذين غرر بهم وزجوا في تلك الجمعيات . ومنها ما هو علني يعمل بصورة مكشوفة .

ومن أكبر الجمعيات لديهم : الماسونية

وهي في ظاهرها جمعية خيرية تعمل لتوفير أسباب السعادة الاجتماعية للناس ، ولكن حقيقتها تتنافى مع ظاهرها إذ أنها تعمل على شراء البسطاء من المسلمين والمسيحيين أصحاب الأهداف القريبة ، وتغريهم بتحقيق تلك الاهداف إذا كانوا أعضاء فاعلين في الجمعية ، ومن ثم تهيء عقولهم لتقبل المبادىء التلمودية ، وبصورة خاصة نظرية شعب الله المختار تمهيداً لتحقيق السيادة الصهيونية على فلسطين ثم إمتدادها من الفرات إلى النيل ، بمساعدة رجالهم الماسونيين الغربيين ، ثم إنها الماسونية الغربية والاستيلاء على السلطة العالمية تحقيقا للإصحاح الملفق الذي يقول : (كل أرض وطأتها بطون أقدامكم ـ فهي لكم) .

وسألقي بعض النظرات على الماسونية حسب وثائقها :

إن عقائدنا ورموزنا واشاراتنا ودرجاتنا هي مصرية فرعونية . ولكنها انتقلت

إلينا بواسطة بني اسرائيل][1] .

[إن الماسونية مذهب سري لم تدون معالمها جميعاً وأكثر أمورها تجري على نهج شفوي][2] .

[إن الثورة الفرنسية ما هي إلا وليدة الماسونية][3] .

[يجب ألا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو (الدين) مع إزالة رجاله][4] .

[لا بد أن نكافح بجهد أكبر لإدامة القوانين والنظم اللادينية ، لأن السلطة المطلقة التي صنعها رجال الدين على وجه المعمورة قد قاربت النهاية ، لا بل آلت إلى الزوال . وأن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الاديان جميعاً][5] .

وللماسونية شعار براق قد يغري كثيرا من السذج الذين لا يحسبون للامور حسابها ، ولا يضعونها بميزان العقيدة والدين ، وهو : (الحرية ، الإخاء ، المساواة) وهو الشعار الذي اتخذته الثورة الفرنسية . وقد ثبت فيما بعد أنها كانت ثورة يهودية مختفية وراء قناع فرنسي ، استفادت منها اليهودية العالمية حيث نال يهود أوروبا حرياتهم وحقوقهم ، بينما كانت هذه الثورة محنة ونكبة للملكية الفرنسية وللكنيسة المسيحية .

والأعضاء الذين يعملون في هذه الجمعية على مراتب أربعة هي :

المبتدي ، الشغال ، الاستاذ ، الرفيق ، العظيم . . . ومن الرفاق المشهورين : الرفيق كارل ماركس ، والرفيق تروتسكس ، والرفيق تشرشل ، والرفيق جونسون ، والرفيق نيكسون . .

ويتدرج الماسوني في هذه الدرجات الواحدة تلو الأخرى ، وهو بذلك

---

(١) الخطب الأربع ـ محفل السلامة الماسوني ص (٢٤) نقلاً عن كتاب أسرار الماسونية .

(٢) الخطب الأربع ـ محفل السلامة الماسوني ص (٤) نقلاً عن كتاب أسرار الجنرال رفعت آتلخان .

(٣) نفس المصدر ص (٧٢٥) .

(٤) مؤتمر المشرق الأعظم ١٩٢٣ ص (٤٣١) عن المصدر السابق .

(٥) نشرة المحفل الفرنسي الأكبر سنة ٩٢٣ ص (١٩٨) عن كتاب أسرار الماسونية .

يبتعد عن الروح الإسلامية إن كان مسلما وعن الروح المسيحية إن كان مسيحيا ويقترب من الروح اليهودية والسياسة اليهودية ، حتى يتحول إلى عميل صهيوني يكون نواة للفرقة بينه وبين أهل دينه ، ودعامة الاثارة لاثارة الفتن والاضطرابات في الدولة التي ينتمي اليها ، . . وبهذا يتخلى الماسوني عن جنسيته وعن دينه لأنه خضع لأمر أساتذته اليهود .

والماسونية ليست جمعية مستحدثة وإنما هي قديمة جداً تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ ، وينشئها اليهود أينما حلوا في أقطار الارض لتكون مركزاً لاجتماعاتهم التي يتناقشون فيها ويتبادلون الرأي والمعلومات وتعزى الحركات الثورة العاتية والفتن الصخرية التي اندلعت في شتى الدول في العصر الحديث إلى النشاط الماسوني ، كالثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وكتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية وتوزيعها على الدول الاستعمارية . واثارة الفتن في مصر والعراق بالاتفاق مع انجلترا للانقلاب على الدولة العثمانية .

فالماسونية كانت وما زالت جمعية سرية للفساد وللافساد وللتجسس والتآمر والخيانة الوطنية والارتداد الديني يحمي هذا كله طقوس وحشية قاسية تعاقب من يخرج عنها أشد العذاب[1] .

موقف المسلمين من المبادىء اليهودية :

نرى ـ نحن المسلمين ـ أن هذه المبادىء التي يتمسك بها اليهود والتي يخططون من أجلها بأساليب مفزعة شريرة لا تتناسب مع من يؤمن بأنه صاحب رسالة إلهية يحملها إلى البشر ، ليهدي بها الضال ، ويؤلف بها بين القلوب ، وقد قال الله تعالى مبينا الحكمة من ارسال الرسول ﷺ ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[2] .

ولئن كان خطر اليهود يمتد ليشمل العالم بأسره فإن خطره على الاسلام وعلى الأمة الاسلامية جسيم وعظيم ، وقد تجلى هذا الخطر منذ بزوغ فجر الاسلام ، ومن اليوم الأول الذي سطع فيه نوره ، قال الله تعالى :

---

(١) انظر كتاب أضواء على الصهيونية ص ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة / ٨٩ .

﴿ ولَمَّا جَاءَهُمْ كتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدق لِمَا مَعَهم وكَانُوا مِنْ قَبْل يسْتَفتحُونَ على الَّذينَ كَفَرُوا ، فَلَمّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِه فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكَافِرينَ ﴾[1] .

﴿ الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءهُمْ وإنَّ فَريقاً مِنْهُم لَيكتُمونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ ﴾[2] .

وقد أثاروا الفتن في عهد الخلافة الراشدة ، وفي التاريخ الإسلامي المجيد ، وفي محضنه الزاهر وظهر اسم عبدالله بن سبأ ليمثل الشخصية اليهودية بكل خبثها وبكل لؤمها وكيدها ، فأثار الناس بدسائسه وحرضهم ضد الخليفة ذي النورين ، ولم يكتف بأن ذهب ضحية مكره ومؤامرته الخليفة الصالح ، وإنما امتدت فتنته لتحيط بالخليفة الرابع علي ـ رضي الله عنه وأرضاه ، ومن ثم وجد الفرصة ملائمة لتشويه الفكر الاسلامي فأدخل بدعته وضلالته (إن لكل نبي وصيا ، وإن عليا وصي لمحمد ، وإن محمدا خاتم الانبياء وعليا خاتم الأوصياء) وبث (فكرة حلول الله بالاشخاص) ودسها بين الجاهليين من أهل الكوفة .

ولما قتل الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ظل هذا اليهودي يبث بدعته وضلالته بأن عليا لم يقتل وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه وأن الذي قُتل شيطان تمثل في صورته ، وصار يوسوس لهم هو وأعوانه من السبئية ، أن عليا يجري في السحاب وأن الرعد صوته وأن البرق سوطه ، حتى صار السبأي إذا سمع صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين . . وتابع السبئيون ضلالهم فاعتقدوا بتناسخ الاله في الأئمة من آل البيت بعد علي .

وكان مقتل علي ـ رضي الله عنه ـ أثرا من آثار الدسائس اليهودية ، وكان تمرد الخوارج سببه عبدالله بن سبأ . . . وهكذا . . بتلاعب أعداء الله ، شر الدواب بالفكر الإسلامي ، وبالحوادث التي سببت انشقاقا في صفوف المسلمين وذهب ضحيتها آلاف مؤلفة من المؤمنين ، ومن السذج الذين استجابوا لمؤامرة

---

(١) سورة البقرة / ٨٩ .

(٢) سورة البقرة / ١٤٦ .

ومكائد السبأي .

وفي العصر الحديث ، برزت القوى اليهودية الصهيونية طامعة في السيطرة على الوطن العربي ثم العالم الإسلامي ، بل يريدون السيطرة على الإقتصاد وعلى وسائل الإعلام من تلفاز وصحافة وذلك لتنفيذ البروتوكولات التي رسمت أحلامهم الضالة المضلة .

فعلينا نحن المسلمين أن نترصد حركاتهم ونتربص لهم ونفسد عليهم مخططاتهم ، وأن نكون على بصيرة بكل ما يفعلونه كيلا نقع في حبائل كيدهم ومكرهم . .

﴿ وَيَمكُرُونَ وَيَمكُرُ الله والله خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾[1] .

وأود أن أنوه هنا إلى أنّ ما ينشره اليهود ويقبله بعض الناس ويذيعونه من أن هناك تفرقة بين الصهيونية واليهودية إنما هو أمر باطل يقصد منه تضليل الرأي العام ، وستر أعمالهم العدوانية الشريرة بهذا الرداء الخادع . . ولا عجب فإن التضليل والخداع والمكر والمكيدة صفات متأصلة في نفوسهم وطباعهم .

وليست الصهيونية إلا طليعة البعث اليهودي الذي يقود جماهير اليهود المنتشرين في الارض إلى السيطرة على العالم ، سيطرة فعلية . . وإن هذه السيطرة ستنطلق من ديار فلسطين ، ومن بيت المقدس ، بل إن كلمة (صهيون) نفسها تعني جبلا من جبال فلسطين أو (مدينة داود) التي تطل على أحد تلال القدس . وأن فكرة العودة إلى فلسطين جزء لا يتجزأ من العقيدة اليهودية .

فكيف يفرق البعض بين اليهودية والصهيونية ؟

وقبل أن أختم هذا المبحث أسجل طرفا من حديث المغفور له الملك فيصل رحمه الله حول هذه القضية :

(إن الإسلام انبثق نوره من هذه البلاد ولم يسبقه دين أو مذهب أو أحد إلى كشف خطط اليهود كشفا يفضح كل ما لديهم من خطط جهنمية ، كشف الإسلام

---

(١) الآية (٣٠) من سورة الانفال .

معتقد اليهود الباطل وكتابهم المقدس المحرف ، وتلاعب حاخاميهم بنصوص الكتاب وأصول العقيدة ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وإمعانهم في إتيان المنكر الذي لم يكونوا يتناهونه ، وحقدهم على الإنسان وإنسانيته وعلى العالم والكون حتى انتهوا بأباطيلهم وكفرهم إلى ذات الله سبحانه وتعالى فوصفوه زوراً وبهتاناً بما لا يليق بجلال الله وكما له المطلق ، فليس بغريب إذا اتهموا الانبياء والمرسلين والصالحين .

« فهذه البلاد هي التي تولت فضح اليهود وتحذير العالم منهم لأنها تريد للإنسانية أن تحيا في ظل الخير والفضيلة والجمال ، وما تزال هذه البلاد في العصر الحاضر تحمل الراية وتوالي بعث النذر رجاء أن يعود الناس إلى رشدهم فيردوا عن أنفسهم ما يضمره ويعلنه هؤلاء الأبالسة من الشر الذي أعدوه للبشرية حتى نتلظى في جحيم حقدهم »[1] .

« إن عداء اليهودية للإنسانية لن ينتهي ، وإن خبثهم ومكرهم ودسهم كل أولئك ـ منهج عملهم ، فيجب أن ندرس كل شيء عنهم حتى نعرفهم على حقيقتهم ونضعهم تحت المجهر لنكشف كل مناوراتهم ومؤامراتهم ، ونرى من واجب هذا البلد أن ينبه للاخطاء التاريخية في أكثر المراجع حتى نفرق بين الحق والباطل ، وكما نتمنى أن نصلي في القدس بعد تطهيرها من أرجاس اليهود وأدناسهم ، فاننا نتمنى أن يكون في كل بيت عربي وكل بيت مسلم مرجع تاريخي على مستوى أهل ذلك البيت المهم أن يكون واضحا وصريحا ومبسطا حتى يعرف المسلمون كل شيء عن اليهود عبر تاريخهم ليتأكدوا أن اليهود أشد ا لناس عداوة للمؤمنين والمسلمين ، وأننا سنعمل بكل جهدنا حتى نحقق هذا الهدف لأنه جزء من الجهاد الذي لن نتخلى عنه حتى النصر أو الشهادة . .

وقال « إننا نعلم علم اليقين أن اليهود يعملون بدأب ويقظة لطمس معالم جرائمهم وآثامهم وإن كل المراجع التي تدينهم بالدليل والبرهان والمنطق السليم النزيه يقومون بسحبها من الاسواق والمكاتب وحرقها وتهديد مؤلفيها ، ومن أجل ذلك فان في نيتي ـ ان شاء الله ـ تأسيس دار طباعة كبرى بجوار البيت العتيق ،

---

(١) من كتاب مؤامرة الصهيونية على العالم ص ١٦٤ .

فكما أن البيت مثابة للناس وأمن فستكون هذه الدار حصنا للفكر الإنساني ، ولن تطبع فيها أي ورقة حكومية ، وانما تطبع كل كتاب وكل مرجع يخدم الانسانية ، فان رسولنا عليه الصلاة والسلام قد بعث للناس كافة فكذلك دعوتنا ستكون للدنيا كلها ، ومسؤوليتنا أمام الإنسانية جمعاء وسنجعل من هذه الدار قلعة وركنا للمعركة ، وسننشر كل كتاب يستفيد منه الناس حيثما كانوا . يكفي أن تتوفر فيه النزعة الإنسانية ، ويكفي ألا يكون حرباً على الاسلام ، وسنعنى بكل مرجع يكشف الصهيونية ومطامع اليهود وتخريبهم وجرائمهم منذ أن وجدوا إلى الآن . .

إن سلاح الثقافة والفكر والتوحيد لم يدخل المعركة الا في حدود ضيقة سنعمل على توسعتها حتى تصبح جبهة ذات استراتيجية وتكتيك فهذا السلاح تعبئة جيدة ، والعسكريون يعرفون أن الاستعداد والحسن والتعبئة الجيدة نصف المعركة) .

وقال : (إن الاستعداد الثقافي والتعبئة الفكرية والتوعية بالحق هي من استراتيجية معركتنا مع اعدائنا ، ولكن سيكون كل ذلك في نطاق عقيدتنا السمحة وفي إطار سلامة المنطق)[1] .

---

(١) من كتاب مؤامرة الصهيونية على العالم تأليف احمد عبد الغفور عطار (ص ـ ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٧) .

الشيوعية

إن من أخطر ما يواجه الانسان المعاصر على وجه البسيطة دعوة هدامة فاسدة تسمى الشيوعية ذلك لما ترمي إليه من محاربة القيم والمبادىء الفضلى والمثل العليا والأخلاق الكريمة ولما تهدف إليه من القضاء على الروابط الأسرية ، والتماسك الاجتماعي وتحطيم الحضارات العريقة والثقافات الأصيلة .

الترابط الوثيق بين الشيوعية واليهودية :

لقد نشأ نتيجة لغلو الرأسمالية وتزايد تسلطها واحتكارها للموارد الطبيعية تيارات تحاول أن تخفف من ذلك الغلو الاقتصادي والسياسي ، وظهر أثناء ذلك كارل ماركس يدعو لمذهبه الشيوعي الذي احتضن تلك التيارات وأذابها بما يبذل من مال يهودي لمساعدة هذا المذهب على الانتشار والامتداد . فلم تكن الشيوعية ثمرة لدراسات علمية تحليلية موضوعية بقدر ما كانت مذهبا (أيديولوجيا) يريد أن يدعم وجوده بمبررات علمية . . لهذا قال كثير من المفكرين الإسلاميين : (إن الشيوعية إنما جاءت لصهر الفكر التلمودي كله في مذهب متكامل مستوعبة سموم الفكر الماسوني التلمودي اليهودي لتظهر في نظرية خادعة تتملق عواطف الجماهير بالدعوة إلى فردوس أرضي كاذب ، وتستغل ما بين الطبقات من تفاوت وركوب التيارات الوطنية والقومية . والتعايش مع النظم المختلفة كمرحلة من مراحل السيطرة والتمكن)[1] وإلا فيمكن مقاومة الاستغلال الدنيء بتجريد الأقوياء من سلطان البغي مثلا أو بإقامة السلطة العادلة التي تكف عدوان الأغنياء والأقوياء على حقوق الضعفاء . . أما هذه الثورة الفلسفية العارمة التي أتت على الأخضر

---

(١) هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام للاستاذ أنور الجندي ص ٤ .

واليابس ، ودمرت الدول المسيحية الأوروبية ، ونادت بأن الدين أفيون الشعوب (إلا اليهودية) فإنها من تصميم اليهود لأن واضع أسسها (كارل ماركس) يهودي متعصب ليهوديته مملوء بالحقد على جميع الطوائف البشرية ، ولأن الساعي إلى تنفيذها في عالم الواقع (لينين) وهو من أخطر واضعي بروتوكولات صهيون .

وهكذا فإن الشيوعية ربيبة اليهودية تعمل على تنفيذ مخططها الرهيب الآثم الخطير الذي يهدف إلى القضاء على الأديان ، كل الأديان ، إلا اليهودية ، كما يهدف إلى إثارة العداوة والبغضاء بين الشعوب التي تلتقي حضاريا وثقافيا وتاريخيا .

إن الوقائع التاريخية التي حصلت في مواقع جغرافية متباعدة في فترات زمنية متقاربة تدل دلالة واضحة على الصلة الوثيقة والرابطة القوية بين الشيوعية واليهودية ، إذ أن اليهود الذين كانوا يعملون للثورة الفرنسية هم أنفسهم الذين عملوا على قيام الثورة الروسية ، وتآمروا على تقويض الحكم القيصري وبيتوا للقضاء عليه على أثر المذابح الشنيعة التي مني بها اليهود في أواخر القرن التاسع عشر على أيدي القياصرة . ولم تقف اليد اليهودية عند هذا الحد وإنما امتدت حانقة حاقدة لتعمل في الظلام وتحيك المؤامرات للقضاء على الخلافة العثمانية وتتابع طريقها لتأخذ من (لينين) ابنها الذي يربى في المحافل الماسونية عهدا بفتح باب الهجرة إلى فلسطين قلب العالم الاسلامي . وكان أول قرار اتخذ في روسيا الشيوعية عام (١٩١٧ م) اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون ، وانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الشيوعية الأولى التي تشكلت في روسيا من اثنين وعشرين وزيرا كان منهم سبعة عشر وزيرا يهوديا . وليس غريبا أن تحارب روسيا الشيوعية إلى جانب الغرب الرأسمالي لتحقق أطماع اليهود في فلسطين ولتقضي على ألمانيا الهتلرية . . كما إن التقارب المكثف بين روسيا وامريكا ليس مصادفة وإنما هو التقاء بين الشيوعية التي هي وليدة اليهودية وبين الماسونية الامريكية .

يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : (لقد استولى اليهود على مقاليد الحكم في روسيا بعد الانقلاب الشيوعي في (٨ أكتوبر ١٩١٧) ومن الغريب أن

الشيوعية هاجمت كل الأديان وخاصة الدين الإسلامي . . وغضت الطرف عن (الخرافات اليهودية) وقد برر لينين ذلك بقوله : إن حجر الزاوية في رأي كارل ماركس وانجلز في الدين هو قولهما المأثور إن الدين هو (أفيون الشعوب) ولقد كان رأي ماركس على الدوام في الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع من أنواع المؤسسات الدينية أنها صدى للرجعية وأن لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير . أما الخرافات اليهودية ، وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان ، ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضروري للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم ، ذلك لأن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ ينتهون في الأقوام المجاورة لهم ، وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم ، ولمحافظة اسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضروري ، فلم يجمع بني اسرائيل غير الدين ، ومحافظة الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار (ريثما ينالون حقوقهم) إن هذا التجاوز الشيوعي للدين اليهودي واستثنائه من خطط محاربة الأديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيوني في السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ، ومباحة لليهود فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التي تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التي كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى ، وقد نشر ستالين مقالة في جريدة : (تومسة مولكانا برافدا) في (١٦ ايلول ١٩٤٤) جاء فيها إن دولة السوفيات الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفا محايدا تجاه الدين ، فالحزب الشيوعي يقف بجانب المادة في حين أن الدين يناهض المادة (يقصد المسيحية) الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان ، وإحداهما تقضي على الثانية فلا مكان للدين في الديار الشيوعية أبدا ، فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفي نقيض[1] .

وهكذا فإن (لينين) يعترف بأن اليهود شعب الله المختار ، ولهم الحرية الكاملة في إقامة شعائرهم الدينية ، وإن إحياء الدين اليهودي يعتبر أساسا لتجمع اليهود حوله . . . ففيه حفظ لقوميتهم ، وحفظ لجنسهم وحفظ لكيانهم ، هذا

---

(١) عن كتاب هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام ص ١١ .

الكيان الذي يجب أن يسود وأن يخضع العالم لسلطته ، وأن ينعم بخيرات الارض . . وأما ما سوى اليهود ، فليس لهم حق في حرية التدين ، بل التدين بالنسبة اليهم مخدر وأفيون ، ومن اللازم أن يمحي هذا المخدر من وجودهم ، وأن يبقوا هواء فارغين لا عقيدة ولا دين ، ولا قلب ولا روح . . ولا إحساس ولا مشاعر ، ولا طموح ولا آمال ، ولا شخصية ولا كيان ولا حضارة ، ولا ثقافة ، ولا عبادة ، ولا دولة . . وعندئذ يتحقق حلم اليهود المنشود الذي تسعى لتحقيقه الشيوعية . .

﴿ وَيَمكُرونَ ويَمكُرُ الله والله خَيرُ المَاكِرينَ ﴾[1] .

ويقول كارل ماركس :

(إن المشكلة اليهودية لا تحل نهائيا إلا بالتحول الاشتراكي للعالم بأسره وإذابة الأديان والقوميات في بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية أو التقدمية الثورية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود شعب الله المختار ، وبما أن التقدمية الثورية تعمل لإخضاع المجتمع البشري كله إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية في العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم شعب الله المختار لاحتلال مركز القيادة التي هي الاسم العصري لعقيدة شعب الله المختار اليهودي)[2] .

مقومات الماركسية :

تقوم الماركسية بصورة خاصة والشيوعية بصورة عامة على مقومات أربعة :

١ ـ التفسير المادي للتاريخ
٢ ـ إلغاء الملكية الفردية والقضاء على الأسرة
٣ ـ القضاء على الدين
٤ ـ القضاء على الأخلاقيات

---

(١) سورة الأنفال الآية / ٣٠ .

(٢) عن كتاب هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام ص ١١ .

١ ـ التفسير المادي للتاريخ وبيان فساده

تعزي الماركسية تكوين الروابط الاجتماعية إلى الانتاج الجماعي وتحسين وسائل المعيشة ، فالحالة الاقتصادية هي المتحكمة في العلاقات الانسانية وهي التي تحدد النشاط الاجتماعي والسياسي والعقلي لحياة جماهير الناس دون أن يكون للقيم الثابتة والمبادىء المثالية أدنى اعتبار في حسابها .

إن نظرية تفسير الوجود الإنساني والترابط الاجتماعي على أساس من الأحداث المادية والظروف البيئية والعوامل الاقتصادية ، نظرية حتما ناقصة ، وبعيدة عن الحقيقة . . ولربما كشفت عن جانب من الواقع ، ولكنها لا تكشف عن جميع الجوانب . . وإنه لمن الخطأ بمكان أن نعتقد أن ثمة مجتمعا يمكن أن ينهض وينمو ويتطور على أساس مادي صرف دون أن نعطي للقيم والمبادىء أي اعتبار . بل نرى المجتمع الاسلامي في أحقاب زمنية متتالية ومتعددة يرتقي في نهضة شاملة ويؤسس حضارة عالمية متكاملة على جذور ثابتة من القيم والمبادىء وقواعد راسية من الآداب والأخلاق دون أن يغفل الاعتبارات المادية . .

فالإسلام وهو الدين الذي اختاره الله تبارك وتعالى لصالح البشرية ، لم يكن نتيجة لانقلاب مادي أو ثورة صناعية أو تطور وسائل الانتاج . بل لم يكن من صنيع البيئة على الإطلاق ، ولا وليد الأحداث العربية القرشية . . وإنما كان دين الله المهدى لإسعاد الإنسانية ، وقد قرر هذا الدين العظيم منذ اليوم الأول القيم الثابتة والمبادىء السامية ، والمساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي بين الملكية الخاصة والملكية العامة .

فالتفسير الماركسي للتاريخ تفسير خاطىء من حيث الأساس لأنه اعتبر الاقتصاد هو الآمر الناهي في العلاقات الاجتماعية دون إقامة وزن للجوانب الروحية والدينية والخلقية التي تؤثر حقيقة في حياة الناس ، ولعلها تأتي في المقام الأول قبل الطاقات المادية وعوامل الإنتاج .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن نظرية التفسير المادي للتاريخ ليست أكثر من تسجيل لفترات الانتكاس في حياة الشعوب بما يستتبعه الانتكاس من صراعات على كل المستويات ، ولقد كان موقف الماركسية من العامل الاقتصادي بالذات

موقفا غير نزيه وغير علمي ، وقد قدم تحليلات لفترات انتقالية من التاريخ في بيئة من البيئات ، ولكنه عجز عن تفسير التاريخ كله في كل البيئات . . وفي السنوات الأخيرة تراجع الماركسيون عن موقفهم بإعطاء العامل الاقتصادي الأهمية القصوى ، وأقروا بألسنتهم أن الاقتصاد ليس العامل الوحيد في التغيرات الاجتماعية ، وهكذا جاء الاعتراف من جانبهم ليؤكد فساد نظريتهم .

وتبع فساد هذا الرأي فساد آخر في تناول (الحتمية التاريخية) التي تنبأ بها (كارل ماركس) والتي تجعل الأحداث الاجتماعية منحصرة في دائرة الصراع العنيف بين طبقات المجتمع ، وهذا الصراع لا بد أن يؤول إلى الاشتراكية بصورة حتمية ، وقد أثبت الواقع خطأ هذا القول وفساده بل أثبت عكسه ، فان انتشار الشيوعية في روسيا والصين كان بصورة ضيقة جداً ومحدودة جداً وكان بشكل إلزامي ، استبيح فيه دم الانسان ، وأهدرت كرامته .

ومن حسن حظ البشرية أن تتنبه للأخطاء الجسيمة التي تكمن في هذه النظرية الالحادية ، ولذلك فقد رفضتها معظم دول العالم وكشفت النقاب عن فسادها .

وتكاد الآراء تجمع على أن ماركس اعتمد في أسس نظريته على متغيرات اقتصادية تكشف خطؤها فيما بعد ، وأن النظرية لم تكن وليدة بحث علمي وإنما جاء البحث تبريراً ودفاعاً عن النظرية .

٢ ـ الشيوعية وإلغاء الملكية الفردية والقضاء على الأسرة

توجه الماركسية ضربة شديدة إلى المجتمع الانساني ، حيث ترى أن الاسرة هي دعامة المجتمع (البرجوازي) فيجب القضاء على هذه الدعامة حتى يصبح المجتمع (شيوعياً) تقوم العلاقات بين أفرادهعلى أساس الجنسية الحرة والاباحية المطلقة ، ومن ثم فلا أنساب ولا حرمات ، ولا أعراض ولا فضائل هذا شأن الماركسية الوقحة . . ومن ثم فالفرد ذرة مذابة في جسم المجتمع الشيوعي ومن شأن هذا إلغاء ا لملكية الفردية ، وإلغاء حق التوريث وحق ثمار الكسب .

إن هذا المبدأ الذي تنادي به الماركسية من أخطر المبادىء التي تصادم الفطرة البشرية والطبيعة الانسانية ، فالإنسان يسعى بفطرته لاقامة أسرة وهو منتم

أصلاً الى أسرة ، والاسرة توفر الحياة الكريمة التي تتناسب مع كرامته ومكانته في الكون . . فهو لم يخلق ليكون حيواناً يعيش حياة جنسية فوضوية . . بل هو أكرم مخلوقات الله خلق لتحقيق العبودية لله تعالى وليكون خليفة لله في أرضه ، ومن كان هذا شأنه حريا أن يكون في مقدمة المخلوقات كرامة وعفة وشرفا واعتزازاً بإنسانيته وبانتمائه إلى أسرة تنظم حياته وتضع الخطوط العريضة الواضحة لتميز بين الحلال والحرام والاقارب والأباعد والأنساب والأرحام والزوجات والاخوات والأبناء والآباء .

ولا يوجد فيما نعلم ـ مجتمع يأخذ بنظام الشيوعية المشاعة المطلقة في علاقات الرجال بالنساء . . وأن هذه المحاولة من الماركسية قد باءت بالفشل الذريع فلم تستطع أن تعيش حتى في نفس الموطن الذي انبثقت منه هذه الفكرة .

وأهانت الشيوعية (المرأة) أيما إهانة ، فجعلتها عاملاً في المزرع والمصنع ، ومنظفاً للطرقات ومزيلاً للركام الثلجي في سيبيريا ، وحملتها فوق طاقتها من الأعباء والتكاليف . . فهل بعد هذه الإهانة من إهانة ؟ وهل هنالك أدنى درجة لتحقير الإنسان من هذا التحقير ؟ وهل يرضى الرجل وهو ابن أو أب أو زوج أو أخ أن يرى أمه أو ابنته أو زوجته أو اخته في هذه الحالة المهينة ؟

هذه هي الشيوعية الذئب المفترس في صورة الحمل الوديع ، هذه هي الشيوعية وقد كشرت عن أنيابها فنفثت احقادها وضغائنها على البشرية . . إنها وصمة عار في جبين الانسانية . ودمعة سوداء في سجل تاريخ الإنسانية ، إنسان القرن العشرين .

وأين هذه النكسة الماركسية من إعزاز الإسلام للبشرية قاطبة ومنحه الانسان الحرية الكاملة والمكانة الرفيعة ، والارادة المستقلة والحقوق الحصينة .

وعلى هذا فالإنسان مهما بلغ من مرتبته في سلم التقدم الفكري والنهضة العلمية ـ بعيداً عن الغرضية والأهواء الشخصية ـ لا يستطيع أن يضع نظاماً واحداً من الانظمة التي وضعها الإسلام ، فما عليه إلا أن يقر بهذه الحقيقة الكبرى ويخضع للإسلام خضوعا كاملاً فيتخذه عقيدة ومنهج حياة . .

٣ ـ الماركسية والدين

تزعم الماركسية أن الحياة عبارة عن مادة تتحرك وفق قانون مادي . . وتنكر وجود الخالق ﴿ كَبُرتْ كَلِمَة تَخْرُجُ مِنْ أفواهِهِمْ إن يقُولون إلاَّ كَذِباً ﴾[١] .

وترى أيضا أن الاديان كلها مخدرة للعقول ، وهي أفيون الشعوب وأن وجود الدين والدعاة عوامل ضعف يجب التخلص منهما والقضاء عليهما .

والإلحاد في الشيوعية يعتبر دعامة أساسية من الدعائم التي تقوم عليها الفكرة الماركسية والدولة الشيوعية ، ولذا فهي تفرض الإلحاد فرضا إلزاميا . . وتنكر البعث والحساب والجزاء . .

ويرى كثير من الباحثين أن الشيوعية بأفكارها وإلحادها ونظرياتها وتطلعاتها تحاول أن تكون دينا يمكن فرضه على الناس وإحلاله محل الاديان .

يقول ماركس :

(إن المسيحية تفرض الجبن واحتقار النفس واذلالها وتجند الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد ، وأن أصحاب المصالح قد استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة في استغلالها فجعلوها دين الدولة بعد قرنين ونصف من ظهورها ، وجاء البرجوازيون في المانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها لضعفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون وأنها رفعت عنهم سلطان الكنيسة ، والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم ولا يزيلها)[٢] .

ذلك هو رأي ماركس في الدين بعامة ، وقد أقام عليه نظريته الضيقة المحدودة ، المحصورة في بيئته ، ولم يكلف نفسه مؤنة البحث عن الاديان الاخرى ، ولو عرف الإسلام ولو معرفة سطحية أو نظر اليه نظرة سريعة لتغيرت مبادؤه من حيث الاساس ، ولهدم نظريته ، ولعاد أدراجه مستغفراً الله منيبا إليه ، إن كان يريد الخير للبشرية ، وإن كان يريد لنفسه السعادة الدنيوية والاخروية . .

---

(١) سورة الكهف / ٥ .

(٢) عن كتاب هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام ص ٧٨ .

ولكنه العمى القلبي الذي يحجب الحقيقة عن النفس ويخدر العقل فيجعله عاطلاً عن التفكير السليم السديد . . وماركس كان يعمل ليهوديته ليس غير ، كان يدور في إطار التلمود يلتمس الاعذار المبيحة ليمحو الأديان ، ويبقي اليهودية عقيدة وديانة كي يضمن لهم السيطرة على العالم والتمكين في فلسطين . . وهو بهذا العمل ينفذ بروتوكولات صهيون ، ويهاجم العقيدة والنظام الاجتماعي معاً ، ويقدم مفهوماً مادياً خالصاً للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة . يستمد مفاهيمه من ركام الوثنيات البدائية التي انقرضت أو كادت تنقرض أمام جلاء الحقيقة الواحدة عن طريق الاديان السماوية التي وهبها الله للانسان ، ولكن ماركس لم يرد هذا التقدم الذي أحرزته البشرية بفضل الاديان السماوية بعامة والاسلام الخالد بخاصة ، وإنما أراد أن ترتكس البشرية وتعود أدراجها من حيث أتت وحين نفضت عنها غبار التأخر ومزقت ظلام الجهل وركام الوثنيات المفزعة . . . أراد ماركس أن ترجع البشرية كلها القهقرى وأن تثبت اليهودية وحدها ، وأن تبني حضارتها وحدها تحت شعار (شعب الله المختار) إنها غباء الانعزالية ، وضلال الانفرادية ، وعمى العنصرية .

وليست الماركسية هي أول نكسة للبشرية وأول نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يتحدى العقيدة الدينية ويتهمها أنها عائق في وجه الاصلاح ، فقد ظهرت نظم كثيرة تطورت إلى نظم أخرى ثم اندثرت ، وداستها أقدام الأصالة والفطرة ، وبقيت العقيدة كامنة في قرارة السلوك الانساني تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة في خضم القلق والثورات وتمد الناس بأسباب الامن والطمأنينة والثقة بالعدالة الالهية والاستقرار النفسي والاجتماعي[1] .

والإسلام الذي واجه فلسفات كثيرة وعقائد مختلفة خلال أربعة عشر قرنا ، وثبت في وجه تياراتها وأمام تحدياتها ، وأثبت عجزها وجمودها وضلالها ، قادر ـ بإذن الله تعالى ـ أن ينتصر أمام تحديات الماركسية والشيوعية والماسونية . . . وغيرها وغيرها . .

﴿ والله غَالِبٌ عَلى أمره ﴾[2]

---

(١) هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام ص ٨١ .

(٢) سورة يوسف الآية / ٢١ .

٤ ـ الماركسية والأخلاق

هل للاخلاق الفاضلة موضع في تيار الماركسية الملحدة التي حطمت كل اعتبار للدين ، وأهانت الإنسان ، وأهدرت كرامته ، ونادت بشيوعية الأسرة ، وفوضوية النسل . . . ؟ مما لا شك فيه أنه ليس للأخلاق وزن بمقياس الماركسية الضالة ، ولا عجب فإن العقيدة والدين لا اعتبار لهما لديهم . . وإذا لم يكن للمرء دين ، ولم يخش من رقابة الله ، فما خلقه وما فضيلته ؟

وعلى هذا فالماركسية تنكر جميع التعاليم الخلقية التي دعت اليها الاديان السماوية ، وتقضي على كل التراث الخلقي الذي توارثته الانسانية بتأثير الاديان .

يقول انجلز ـ وهو المؤسس الثاني ـ للمذهب الشيوعي :

(نحن نرفض أن نذعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانونا خلقيا خالداً وغير قابل للتبديل والتغيير ، ونرفض أن نعتبر أن هناك مبادىء خلقية أبدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة إنما هي عند تحليلها ليست إلا ناتجا اصطنعه المستوى الاقتصادي الذي بلغه المجتمع في عصر معين ولما كان المجتمع الانساني إلى اليوم لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات فالاخلاق التي يعترف بها المجتمع ليست إلا النظام الخلقي الذي تعتز به طبقة معينة نظاماً كان أو طوراً يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويذود عن مصالحها أو يبرر طغيان الطبقة التي كانت مغلوبة على أمرها حتى وصلت إلى الحكم ولا يمكن وجود نظام أخلاقي وانساني شامل إلا بعد أن تنتهي حرب الطبقات)[1] .

وهكذا يظهر بوضوح تعبير مؤسسي الماركسية موقفهم الجلي من الاخلاق ، وأنهم يريدون أن يطعنوا في القيم الانسانية ، ويضربوها الضربة القاضية القاصمة ، ويحولوا الحياة بأسرها إلى حلبة صراع عنيف وقتال دموي مريع .

وهم إذ يهدمون الأخلاق الدينية والقيم الثابتة والمبادىء النبيلة يضعون

---

(١) عن كتاب هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام ص ٦٢ .

رسوماً بالية تحقق مصالحهم الانتهازية المادية ويسمونها (أخلاقا شيوعية) ، فالأخلاق في نظرهم ما هي إلا تعليمات تقتضيها مصلحة الشيوعية ، وما هي إلا وسائل تحقق لهم مصالحهم الخاصة ، وتمكن اليهودية من وضع قبضتها على المصالح الاقتصادية العالمية . . ، ولتحقيق أهوائهم الخاصة نادوا بأن (الغاية تبرر الواسطة) ونادوا بـ (الانتهازية) .

وعلى هذا فالخلق في عرف الماركسية يعني تحقيق مصالحهم الخاصة ، والقضاء على كل قيمة دينية ثابتة عريقة .

والأخلاق الماركسية تميزت بالعنف والقسوة والوحشية والاستبداد والظلم والاعتداء على الآخرين وسلب الآمنين أموالهم وحقوقهم وحرياتهم . . والسعي لكتم أصوات الحق ، والتخلص من كل داعية مؤمن ، وسفك دم كل من يطالب بتحقيق الحرية الدينية ، والكفالة الشخصية . . فهل هذه أخلاق أم قيود حديدية وكمامات خانقة توضع بالأيدي الساعية إلى الخير وبالأفواه الناطقة بالحق ؟!! .

﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمّا يَعمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾[1] .

الغزو الشيوعي :

إن من أخطر أنواع الغزو الفكري الذي هاجم المسلمين في ديارهم ذلك الغزو الشيوعي الشرس العنيف الدموي الذي يحمل في طياته مكر اليهود وخبثهم ولؤمهم وحقدهم كما يحمل بقايا خربة عفنة من الوثنيات الضالة التي كادت البشرية أن تتخلص منها .

وكانت الشيوعية في محاولتها للدخول إلى الديار الاسلامية تتخذ أساليب المكر والخداع وتخفي أهدافها الرهيبة ورغباتها الهدامة ، فكانت تعتصم بجدار (الاشتراكية) . . أوكلمة (اليسار) ودعت لفتح باب الحوار مع الدين ، وأنها لا تعارض الدين البتة ، وأن هناك انفصاماً بين العقيدة وبين الشيوعية ، فالشيوعية منهج سياسي واقتصادي واجتماعي والدين يقتصر على العقيدة القلبية . . ولكنها ما لبثت أن انكشفت حقيقتها واستبان أمرها وأنها أرادت أن تهدم العقيدة والخلق

---

(١) سورة ابراهيم / ٤٢ .

والروابط الاجتماعية والنظام الإسلامي السياسي والاقتصادي ، وتحل هي دينا محله وكانت الماركسية في العالم الاسلامي تهدف إلى خلق تيارات شيوعية من المسلمين أنفسهم يساعدون اليهود على تحقيق مكاسبهم وتنفيذ مخطط صهيون .

والعالم الاسلامي يواجه كل تجربة ترزأ العالم العربي بسبب التحدي الشيوعي ، وقد وجد من بين أبناء المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ من يدعو الى التجديد ، ويروج البضاعة الشيوعية في الصحافة والسينما والمسرح والإعلام كله . . وما هي إلا سنوات قليلة حتى انكشف الفكر الماركسي ، واستبانت حقيقة دعوته ، فجر ذيول الخيبة وفر هاربا . . وصمدت الثقافة الاسلامية في وجهه ورابطت لتحمي الثغور الاسلامية ، وظهر سمو الفكر الاسلامي وأصالته واستجابته الحقيقية لاشواق المسلمين وتطلعاتهم ، واتضح للعالم أجمع أن الاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ولا المساومة ولا التلفيق ولا الترقيع . ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[1] .

صورة واقعية للفتك الشيوعي في البلاد الاسلامية :

تعتبر تركستان من البلدان الاسلامية التي خضعت للشيوعية الفاشية بحد السيف وتحت أزيز المدافع وألسنة النيران . وكان من هذه البلاد الامامان الجليلان : البخاري ومسلم ، والمفسران : الزمخشري والنسفي وأئمة البلاغة وإعجاز القرآن : عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي ، ومنها الفارابي وابن سينا ، ومن علماء الرياضة والفلك: خالد والبلخي ، ومن علماء الهندسة بنو موسى ، ومنها البيروني والماتريدي والخوارزمي والسرخسي ، وغيرهم[2] .

تقول التقارير التي قدمت من بعض المهاجرين من الحكم البلشفي الغاشم هذه الحقائق :

---

(١) سورة المائدة / ٥٠

(٢) من كتاب أساليب الغزو الفكري للدكتور علي محمد جريشه وزميله ص / ١٢٦ .

قتل الشيوعيون في هذه البلاد سنة (١٩٣٤ م) مائة ألف مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ، ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم وإعطائهم للصليبيين ليحلوا محلهم ، وفيما بين سنة (١٩٣٧ - ١٩٣٩ م) القوا القبض على (٥٠٠ الف مسلم) أعدموا منهم فريقا ونفوا الباقي ، وأعدموا عددا كبيرا من علماء المسلمين منهم قاضي القضاة والمفتي وأهل العلم والصلاح . .

وفي سنة (١٩٤٩ م) هرب من المسلمين (٢٠٠٠) شخص مات منهم على الطريق (١٢٠٠) .

وفي سنة (١٩٥٠ م) قتلت روسيا سبعة آلاف مسلم من الذين فروا من التعذيب .

التغريب

التغريب هو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية ، واخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص ، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ (الثقافة العالمية) أو الفكر الأممي .

ولا ريب أن هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الاسلامي في العصور المختلفة لأنه وليد الاستعمار وربيب الاستشراق وابن التبشير ، وهو فوق ذلك مؤامرة الصهيونية مع الصليبية ضد الإسلام والمسلمين[1] .

والتغريب حركة كاملة البناء له نظمه ووسائله واهدافه ، وقادته ودعاته . . وهو يعتمد على وسائل الاعلام من (راديو) و(تلفزيون) وصحافة كما يعتمد على دور الثقافة والمدارس . .

وتهدف حركة التغريب إلى اثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين . . وتحاول أن ترد التراث الاسلامي إلى الفرس والهنود واليونان . . لذا نجد أن التغريب يهتم بدراسة عالم ما قبل الإسلام وإحيائه في صور شتى ، كصورة الفرعونية والجاهلية والوثنية والفارسية المجوسية القديمة ، وإثارة دعوات حديثة كالبهائية والقاديانية ، كما يسعى لتمزيق وحدة الفكر العربي الاسلامي بعزل الأخلاق عن التربية ، والدين عن الأدب ، والسياسة عن الدولة ، كما يعمل جاهداً لنشر الإلحاد والإباحية والدعاية لهما ، لأن الانسان إنما يكون له وجوده وشخصيته بمبدئه الذي يعتقده وبقيمه التي يؤمن بها ، فإذا ضاعت المبادىء والقيم انهار الأنسان الذي هو نواة المجتمع .

---

(١) شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي ص ٥ .

وقد استعملت حركة التغريب أساليب شتى لتحقيق أغراضها المنكرة ، وكان أهمها أسلوبين :

١ ـ الحركة العلمانية . ٢ ـ الحركة القومية .

وسأتناول بالبحث هاتين الحركتين بشيء من التفصيل مع بيان دحضهما .

أولا : العلمانية :

تنسب (العلمانية) على غير قياس إلى العالم أو العالمية (Secularism) وهي نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية ، وقيام الدولة على دعائم الدين ، كما يرفض كل نظام أو قيمة تنسب إلى الدين من قريب أو من بعيد . . وهي دعوة صارخة لفصل الدين عن الدولة (وأن يكون ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) هذه صيحتها التي قصدت من ورائها عزل الدين عن مناهج الحياة وعن السياسة والحكم والقضاء[١] .

والعلماني (Secular) هو كل ما يتعلق بشؤون الدنيا وأنظمتها بعيداً كل البعد عن التعاليم الدينية[٢] .

والعلمانية بهذه الدعوة قد أوجدت حكماً ثنائياً ، وحركة ثنائية ، وتعليماً ثنائياً واعلاماً ثنائياً ، ومنهاجاً ثنائياً . . فهناك سلطة الدولة التي تعمل باستقلال وانعزال كاملين عن الدين ، وهناك رجال الدين الذين يحكمون في المعبد ويديرون شؤونه دون أن تكون لهم كلمة في شؤون الحكم والسياسة في الاقتصاد أو في إدارة الدولة ، وهناك مدارس مدنية ، ومدارس دينية ، وهناك تعليم لاديني وتعليم ديني وكلاهما منفصل ومستقل عن الآخر وهناك حياة دنيوية متغيرة ومتطورة وهناك حياة دينية في منآى عن التغير والتطور .

هذه الثنائية تبرز بصورة مريعة حينما يقع الطرفان بصورة نزاع ، كل منهما يحاول أن يخضع الآخر ، وكل منهما يريد أن يتحكم في الآخر . هذه الثنائية ظهرت بصورة شديدة وعنيفة في أوروبا ، إذ كانت الكنيسة هي المسيطرة على الحياة في مختلف مجالاتها طوال القرون الوسطى ، وكانت تحد كثيراً من نشاط

(٢،١)الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة ص ١٢ .

العلماء ، بل كانت تعطي لنفسها الحق في بيع صكوك الغفران وبيع مساكن في الجنة ، قصور وفيلات وشقق كبيرة أو صغيرة مفروشة ، تبيعها بالنقد والتقسيط . .

وكانت الكنيسة والباباوية تقف موقفا عدائيا من العلم والعلماء . . فقد أمرت بحرق العالم (برونو) الذي قال بوجود عوالم أخرى غير الأرض ، وأخمدت أنفاس (كوبر نيكوس) لأنه قال : (إن الأرض ما هي إلا كوكب مثل غيرها من الكواكب السيارة) وأجبرت العالم (جاليلو) على أن يكذب ما سبق أن صرح به من أن الأرض تدور حول الشمس وهو راكع على ركبتيه ذليلا خوفا من المحاكمة . .

وحينما ابتدأ الإنسان الأوروبي يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعي ، شعر بوجود ذاته المستقلة عن الكنيسة ، فافتخر باستخدام البخار في الصناعة واعتز بقانون الجاذبية ، وكلما اكتشف طاقة جديدة ابتعد عن الكنيسة شيئا فشيئا ، حتى إذا ما أحس بالاستقلال الكامل عن سيطرتها أخذ يتهمها بالجمود وغير ذلك من الاتهامات وينال منها ومن قداستها . . وبخاصة بعدما عرف الكهرباء وفجر الذرة .

وحينذاك تصور بعض المفكرين الأوروبيين أنه يمكن القضاء على هذا النزاع بتوزيع السلطات وتقسيمها إلى طرفين : طرف يكون للدولة فيه مجال كشؤون ادارة الدولة والاقتصاد والتعليم وسن القوانين ووضع الدستور . . وغير ذلك من الأمور العامة .

وطرف يكون للكنيسة فيه مجال كمراسيم الزواج وطقوس الوفاة ونظام الرهينة . .

هذا الفصل أخذ اسم العلمانية . وقد مرت هذه (العلمانية) بمرحلتين :

الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة ، اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه .

والثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة التي طالبت بإخضاع تعاليم المسيحية إلى العقل وإلى مبادىء التجارب الطبيعية أو المخبرية .

ويمكن أن أذكر أبرز الأسباب التي دعت الفلاسفة إلى القول بفصل الدين عن الدولة :

١ - إن دافع (العلمانية) في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة .

٢ - إن الدافع على (العلمانية) في القرن التاسع عشر هو الاستئثار بالسلطة ، لذلك كانت العلمانية تهدف إلى إلغاء الثنائية بهدم الكنيسة والدين كتمهيد لا بد منه للوصول إلى (السلطة المنفردة) .

٣ - إن الموطن الذي ولد فيه الفكر العلماني في مرحلتيه هو انجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، ومع هذا فلم تأخذ هذه البلدان الاتجاه العلماني في التطبيق على الحياة الواقعية ، فالتاج البريطاني ما زال حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة في صورة عملية ، والدولة في هذه البلاد ما زالت تساعد المدارس الدينية المساعدات المالية[1] .

موقف الإسلام من العلمانية :

الإسلام دين التوحيد الخالص الذي يقوم على إنكار الشرك ومقاومته بشتى صوره ، وهو دينٌ يرفض الثنائية من حيث الأصل ، ويرفض أن يخضع الانسان لغير الله ، ويرفض أن يستعلي بعض الناس على بعضهم الآخر[2] وهو دين المساواة ، فالناس جميعا متساوون أمام الله تبارك وتعالى وأمام الشريعة الالهية ، وما على الحاكم المسلم إلا أن يطبق حكم الله على النحو الذي ارتضاه تعالى . . وعلى الحاكم والمحكوم أن يرجعا الى كتاب الله وسنة رسوله ليحكماها في كافة القضايا ، الحديثة منها والقديمة .

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الله يَأمُركُمْ أن تُؤدوا الأَمانَات إلى أهلِهَا ، وإذَا حكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ الله نِعما يَعِظُكُمْ به إنَّ الله كَانَ سَميعا بَصيرا . يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أطيعُوا الله وأَطيعُوا الرَّسُول وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإنْ

---

(١) الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة ص (١٢ - ٣٣) .

(٢) الاسلام في حل مشاكل المجتمعات المعاصرة ص ٣٣ وما بعدها .

تَنَازَعتُمْ في شيء فَرُدّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إنْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بالله واليَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأحسَنُ تَأويلاً ﴾[1] .

فالقرآن الكريم وهو كتاب الله المنزل على رسوله الأمين ، وهو الكتاب الصادق المحفوظ عن كل تغيير أو تبديل بحفظ الله تعالى يوجب على الناس جميعا حاكمهم ومحكومهم تحكيم شريعة الله تعالى ، وأنه ليس للحاكم أي صفة مقدسة تخرجه عن كونه إنسانا ، أو كونه معصوما عن الخطأ في اجتهاداته وفي تصرفاته الخاصة التي تعتمد على رأيه الخاص وتفكيره في مسألة من المسائل . وتروي كتب السير والتاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وهو الذي نزل الوحي مؤيدا آراءه في بضعة أحكام ، حينما أراد أن يحدد المهور ويمنع التغالي بها . ارتفع صوت امرأة وهي تقول : كيف تريد أن تفعل ذلك وقد قال الله تعالى ﴿ وآتَيْتُمْ إحداهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تأخذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾[2] فقال عمر رضي الله عنه : أصابت امرأة وأخطأ عمر[3] .

وإذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الاسلام ، تستهدف المساواة بين الناس في اعتبار الانسانية ، وفي البقاء في المستوى الا نساني ، وفي المشاركة في خصائص الانسانية من الخطأ والصواب . فإنه ليس هناك في نظر الإسلام مكان في المجتمع المسلم لنزاع حول السلطة ، لأنه ليس لمجموعة من الناس أن تتميز على غيرها بأن لها حقاً مقدساً ، أو أن لها حق التسلط على غيرها ، أو أن لها حقاً في وضع أحكام شرعية تلزم بها سائر الناس . . كلا إن الحكم إلا لله ، وهذا هو معنى التوحيد الذي جاء به الإسلام .

أجل لقد قرر الإسلام الوحدة في ثلاثة أصول عامة :

١ ـ قرر وحدة النفس البشرية ، فلا انفصال بين الدين والحياة . أو الدنيا والآخرة أو الروح والجسم ، أو الواقع والمثال .

---

(١) النساء / ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) النساء / ٢٠ .

(٣) استعنا بهذه القصة لشيوعها في كتب التاريخ وان كانت لم ترد في كتب الحديث ، ولا في المصادر التاريخية الأولى .

٢ ـ وقرر وحدة الجنس البشري ، فلا فرق بين أبيض وأسود أو عربي وعجمي إلا بالتقوى .

٣ ـ وقرر الإسلام وحدة الدين (منذ نوح إلى محمد عليه وعلى الانبياء والمرسلين الصلاة والسلام) توحيد الله وثبات الأخلاق ، والمسؤولية الفردية والبعث والجزاء[١] .

ولم يوجد في ظل الحكم الإسلامي في يوم من الايام نزاع بين الدين والعلم ، ذلك لأن الإسلام دين علم ووعي وتقدم وحركة وديناميكية ونهضة وحضارة . . ومنذ اللحظة الأولى التي انبثق فيها فجر الإسلام جاء النداء للرسول ﷺ بالأمر بالتعلم والقراءة والكتابة . . ﴿ إقرأ بإسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ . خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَق إقرأ وربُكَ الأكرم الذي عَلَّمَ بالقَلَم عَلَّم الإنسان ما لَمْ يَعْلَم ﴾ .

روى الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ بسنده عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها حديث بدء الوحي ، وهو حديث طويل وفيه أن رسول الله ﷺ بينما كان في غار حراء يتعبد ، جاءه الملك فقال : اقرأ قال ﷺ : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، أخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق.خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ﴾[٢] .

فهل يوجد بيان أبرع أو دليل أقطع على فضل العلم والاعلاء من قيمته ومن اجلال العلماء من أن يبتدىء نزول الوحي بهذه الآيات الباهرات ؟

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة نزل قوله تعالى : ﴿ ن . والقَلَمِ ومَا يَسطُرُونَ ﴾[١] وفي هذه المرة من نزول الوحي صدرت الآيات بحرف من حروف

---

(١) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ـ ص ٢٣ .

(٢) سورة العلق الآيات (١ ـ ٥) .

(٣) سورة القلم / الآية ١ .

الهجاء . . وأقسم الله تبارك وتعالى بالقلم والكتابة وهما وسيلتان هامتان من وسائل العلم والمعرفة . .

وفي القرآن الكريم حشد كبير من الآيات في بيان فضل العلم وفي الحث على طلبه ، والحث على البحث العلمي المنطقي الدقيق المرتب على مقدمات مسلمة ، وعلى براهين واضحة وعلى حجج قوية . . للوصول إلى السنن الكونية والقوانين التي تنتظم الظواهر الطبيعية بل ذهبت الآيات القرآنية إلى أبعد من ذلك فجعلت البحث العلمي والتفكر في بديع خلق السماوات والأرض وفي معرفة النفس الانسانية ومقوماتها الطبيعية وعواملها المؤثرة ، وفي معرفة التركيب الفيزيولوجي للأحياء كلها ، من نبات وحيوان وانسان . . أساسا للإيمان بوحدانية الله ، وللايمان بانفراد الله بالخلق والقدرة على الايجاد والاحياء والاماتة . .

قال تعالى : ﴿ الرَّحمٰنُ ، عَلَّمَ القُرآنَ ، خَلَقَ الإنسَانَ ، عَلَّمهُ البَيَانَ . الشَّمسُ والقَمَرُ ، بحُسبَان ، والنَّجمُ والشَّجرُ يَسْجُدَانِ ، والسَّماءَ رَفَعَها وَوضَعَ المِيزَان ﴾[1] .

ويقول جل من قائل : ﴿ أفلاَ يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلقَتْ وإلى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعت وإلَى الجبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وإلى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكّرِ إنما أنتَ مُذَكِرٌ ﴾[2] .

ويقول سبحانه ﴿ وَفي الأرضِ آياتٌ للمُوقِنينَ وَفي أنْفُسِكُمْ أفلاَ تُبصِرُونَ ﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذي مَرَجَ البَحْرَيْن . هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ . وَهَذا مِلحٌ أُجَاجٌ . وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرزَخاً وحِجْراً مَحْجُوراً ﴾[4] .

فالآية القرآنية تشير إلى ظاهرة طبيعية ، وهي أنه إذا ما التقى نهران في ممر مائي فإن أحدهما لا يذوب في الآخر . . هذه الظاهرة معروفة لدى الإنسان قديما

---

(١) الرحمن / الآيات ١ ـ ٧ .
(٢) الغاشية / ١٧ ـ ٢١ .
(٣) الذاريات / الآيات ٢٠ ـ ٢١ .
(٤) الفرقان / ٥٣ .

ولكن قانونها لم يكتشف إلا منذ بضع عشرات من السنين . . وقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة يسمى (قانون المط السطحي) (Surface Tension) وهو يفصل بين السائلين ، لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله . وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون .

ولعل قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتَقِيان بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يَبغِيانِ ﴾[1] يشير الى هذه السنة الثابتة .

قال الله تعالى : ﴿ الله الَّذي رَفَعَ السَّمٰوات بغَيْرِ عَمَد تَرَونَها ﴾[2] إن الإنسان منذ القديم كان يرى عالماً كبيراً قائماً بذاته في الفضاء مكوناً من الشمس والقمر والنجوم ، ولم ير له أية سارياتٍ . أوأعمدة .الانسان في العصر الحديث يجد في هذه الآية العظيمة تفسيرا لمشاهداته التي تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون أعمدة في الفضاء ، وقد توصل إلى معرفة قانون (الجاذبية) فأدرك بواسطته عظمة تلك الآية القرآنية ، وأدرك أيضا أن الأجرام إنما تبقى في اماكنها المحددة بسر إلهي يتجلى في قانون الجاذبية .

وفي القرآن الكريم آيات أكثر من أن تحصى تحث على العلم وتشيد به ، وتجعل معرفة السنن الكونية والقوانين الطبيعية أدلة شاهدة وثابتة على قدرة الله في الخلق وفي الايجاد سبحانه وتعالى .

قال تبارك وتعالى : ﴿ إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاءُ ﴾[3] فبمقدار تعمق الانسان في الجانب العلمي في صدق وإخلاص تكون خشية الله تعالى ، ذلك لأن المتعمق يرى من سنن الكون ومن الإتقان في الصنع ، ومن الحكمة في التدبير ما يجعله ساجدا لمبدعه وخالقه . . وإن الذين يتصلون بعلم التشريح مثلاً من قريب أو يتخصصون فيه يرون من الاحكام المحكم ومن الدقة الدقيقة في مختلف الأجهزة الجسمية وفي أعضاء هذه الأجهزة ما يضطرهم ويلزمهم إلزاما

---

(١) الرحمن / ٢٠ - ٢١ .
(٢) سورة الرعد / ٢ .
(٣)الآية ٢٨ / من سورة فاطر .

إلى السجود لله الواحد الذي أبدع هذا التنسيق وأوجد هذا الترتيب .

وليس علم التشريح وحده هو الذي يبهر العالم المتبحر فيه ، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكي ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء . . وهكذا نجد انبهار النفس في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية في أرضها وفي سمائها وما بين السماء والأرض . .

يقول سبحانه عن الليل والنهار : ﴿ يُغْشِي اللَّيلَ النَّهارَ يطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾[1] فالآية الكريمة تشرح للانسان سر مجيء الليل والنهار . وفيها إشارة رائعة إلى دوران الأرض محوريا ، وهو الدوران الذي يعتبر سبب مجيء الليل والنهار طبقا للمعلومات الحديثة .

وقد أدلى رجل الفضاء الروسي (جاجارين) بعد دورانه في الفضاء حول الأرض أنه شاهد تعاقباً سريعاً للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري حول الشمس)[2] .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَفي الأرْضِ آياتٌ للمُوقِنينَ وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبصِرُونَ ﴾[3] وإذ يقول : ﴿ إنَّما يَخشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَماءُ ﴾[4] وخشية الله في حقيقة الأمر ما هي الا ثمرة للعلم وأساس من أهم أسس الاسلام . . ومن هنا نبعت ضرورة التعلم ، فالتعلم واجب ديني يفرضه علينا الإسلام كما يفرض علينا التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وزكاة وحج . .

ولهذا كان من أبرز مقومات شخصية المسلم العلم ، العلم بالكون والعلم بالانسان والعلم بالنفس ، وبكل ما تتسع له كلمة العلم من معنى . . يقول سبحانه : ﴿ شهِدَ الله أَنهُ لا إله إلا هُو ، والملائكَة وأولُو العِلمِ قائِماً بالقِسطِ لا إله إلا هُو العزيزُ الحكيم ﴾[5] فالعلم طريق يتسع لجميع المؤمنين ، وهو الطريق

---

(١) الأعراف / ٥٤ .

(٢) الإسلام يتحدى ص ١٢٥ وما بعدها .

(٣) الذاريات / ٢٠ ، ٢١ .

(٤) الآية ٢٨ / من سورة فاطر

(٥) آل عمران / ١٨ .

الوحيد إلى الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى .

وبعد ، فهل لعاقل أن يقول إن الاسلام يحجر على العقل البشري ، ويضعه في قوقعة زجاجية لا يخرج منها ولا يحيد عنها . . ؟
كلا ! وإنما جعل له ميدانا فسيح الأرجاء رحب البنيان . . جعل ميدانه ، الأرض بما فيها من سهول وصحاري ، وجبال ووديان ومزروعات ونباتات وأنهار وبحار ، وحيوانات . . وانسان . . والسماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب وما بين السماء والأرض . . كل هذا ميدان للعقل البشري . . أفلا يتسع هذا الميدان الرحب للعلم ؟ ويبني انسان هذا الجيل معلوماته على ما وصل اليه الأقدمون ، ويترك للجيل بعده آفاقا وآفاقا . . وما زال الانسان يدور في ذلك العلم منذ أن وجد على سطح الأرض . . ومع هذا فلم يصل إلى كل المعرفة ، وإلى كل العلوم ، وما زال هناك مجاهيل . . ربما تكتشفها الأجيال القادمة وصدق الله العظيم اذ يقول : ﴿وما أوتيتُمُ من العِلمِ إلاَّ قَليلاً﴾[1] .

فليس في الإسلام مجال للجذب والشد ، وللمد والجزر بين رجال الدين ورجال العلم . . لأن رجال الإسلام هم العلماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وكما ان العلم يتحقق بمعرفة الحلال والحرام والفرض والمسنون والمكروه ، يتحقق كذلك بأن يأخذ الانسان نصيبا من العلوم الكونية والعلوم الانسانية والعلوم النفسية . . وليس الإسلام هنا قصراً على رجال معينين يسمون أنفسهم (برجال الدين) كما للكنيسة (كهنوت ورهبان) كلا . . الرجل في الإسلام أي رجل عليه أن يتعلم من أمور الدين بما يستقيم به شأن دينه ، وعليه أن يتعلم من الأمور الدنيوية ما يزداد به إيماناً وتقوى ، وبما يخدم مجتمعه وأمته وحضارته .

وهكذا عمد الاسلام إلى بناء النفس الانسانية على الإيمان بالله تعالى ، وقرر أن الايمان بالله سبحانه قوة دافعة تعطي الأمل ، وتحول دون اليأس وتبعث الثقة المتجددة في النفس ، وتحرص على الصبر والثبات على البحث العلمي النافع . . كما قرر أن الايمان ليس مضادا للعلم والمعرفة ، وليست المعرفة بديلا للإيمان . . فالإسلام يجمع بين مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة ،

---

(١) سورة الاسراء (٨٥) .

ومفهوم المعرفة القائم على الوحي ، وقد جعل الإسلام الإيمان بالغيب شرطاً أساسياً من شروط المعرفة . . وقد دعا في أكثر من آية إلى التفكر والتدبر والتأمل في خلق السماء والأرض وما فيهما وما بينهما . . قال تعالى : ﴿ قُلْ إنَّما أعِظُكُمْ بِوَاحِدَة أَنْ تَقومُوا لله مَثْنى وفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّروا ﴾[1] .

وليس فهم الحياة بوصفها معبراً وطريقا إلى الآخرة بمنقص من هدف تحسينها وبنائها وعمارتها ، ولكنه عامل هام في جعلها أكثر أصالة وعمقا ، لأنه يقوم أساسا على مفهوم المسؤولية الفردية والجزاء والعمل في اتجاه منهج الله عز وجل .

وقد دعا الإسلام الى العمل والاهتمام به ، وإلى الرضى بقضاء الله في النتائج . . كما أن الإسلام لم يحارب الرغبات الإنسانية الداخلية ، ولكنه وجهها التوجيه السليم الذي يتلاءم مع الفطرة الطبيعية ومع الخلقة الانسانية . قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهواتِ مِنَ النِّساء والبَنينَ والقناطيرِ المُقَنْطَرَة مِنَ الذهَبِ والفِضَّة والخَيْلِ المسوَّمَة والأَنعامِ والحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحياة الدُّنيا ﴾[2] .

ويمكن أن ألخص الموقف الإسلامي[3] من الحركة العلمانية ضمن المفاهيم التالية :

١ ـ إن التدين جزء من الطبيعة البشرية ، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش من غير دين ، ولقد عجزت المذاهب جميعها والأيدلوجيات على اختلافها أن تقدم له بديلا عن الدين يشفي روحه ، ويملأ حياته . ولقد حرر الإسلام الإنسان من عبودية المجتمع ومن عبودية الافراد ليتجه إلى الله وحده .

٢ ـ حرر الإسلام الفكر من الظنون والفروض والأساطير والخرافات والأوهام والأهواء ، ودعا إلى التمسك بالمنابع الإسلامية الأصيلة ، وفي مقدمتها (القرآن الكريم) و (سنة رسول الله ﷺ) ومن هنا كان التحرك الفكري للمسلمين إنما يجري في إطارهما ، فإذا خرج عنهما وقع الحرج والضيق

---

(١) سورة سبأ (٤٦)

(٢) آل عمران / ١٤ .

(٣) عن كتاب شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي ص ٣١٧ ـ ٣٢٥ .

والتمزق والشتات الذي لا يزولُ إلا بالرجوع اليهما .

٣ - إن حاضر الفكر الاسلامي والأدب العربي ، والثقافة العربية لا تنفصل عن ماضيها الممتد المتصل المتفاعل خلال مراحل التاريخ المختلفة دون توقف ، وإن الفكر الإسلامي الحديث هو ثمرة للفكر الإسلامي الذي بناه القرآن الكريم .

٤ - إن الحرية في الإسلام تعني تحرير العقل البشري من قيد الوثنية مهما اختلفت اسماؤها ومن الجهل مهما تباينت تواريخها ، ومن الخرافة والتقليد مهما لبست من مسوح ، كما تعني تحرير الانسان من قيد العبودية وسلطان الاستبداد والطغيان .

٥ - إن الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تختلف باختلاف المجتمعات ولا تتطور بتطور الأزمان ولا تتبدل بتبدل الأجيال . . وإنها مرتبطة بالانسان ، وإن الحق واحد لا يتعدد .

٦ - إن الإسلام وحدة كاملة لا تقبل الانفصام ولا التجزئة ولا التفتيت وكل فرع فيه يقوم على أصول ثابتة ، فالأخلاق لا تنفصل عن العبادة ولا تنفصل عن السياسة ، كما إن العبادة لا تنفصل عن المعاملة . .

٧ - لقد ربط الإسلام في حياة الفرد بين عقيدته التي يؤمن بها ويدين لها وبين العمل والنشاط الذي يصدر عنه ، وقرن بين العلم والعمل ، فلا يطلب العلم ليبقى في حيز النظريات ، وانما يطلب ليطبق ويستفاد منه في تحسين وسائل الحياة الانسانية .

٨ - لا يرى الاسلام أن ثمة تعارضا قائماً بين مفهوم الإيمان ومفهوم المعرفة ، ولا تقتصر المعرفة في الإسلام على الوسائل الحسية والبراهين التجريبية وإنما يضاف اليها التسليم بعلم الوحي ، الذي أفاد الانسان فائدة كبرى ، وكفاه مؤنة البحث فيما وراء الطبيعة ، والبحث عن اليوم الآخر ، وقدم له وصفا كاملا للحياة بعد الموت ، هذا الوصف الذي يرضي الاشواق النفسية للانسان ، ويدخل في قلبه الطمأنينة والسكينة .

من هذا العرض الموجز يتضح أنه لا يوجد منفذ واحد تدخل منه العلمانية إلى التربية الإسلامية ، ذلك لأن البيئة التي وجدت فيها العلمانية وهي (الغرب أو الشرق الشيوعي) تختلف اختلافاً كلياً عن البيئة العربية الإسلامية ، وإن الظروف الأوروبية التي أتاحت لظهور العلمانية لم توجد ولن توجد ظروف مماثلة لها في البلاد الإسلامية ، ولو كان الإسلام منتشراً في أوروبا وحاكما لحياتها لما نشأت العلمانية في الفكر الأوروبي ، ولما وصل تفكير بعض الأوروبيين إلى التطرف في النزعة المادية لحل بعض المشكلات الاجتماعية .

يقول أحد العلماء الغربيين : (إن الغربي لا يصير عالما إلا إذا ترك دينه ، بخلاف المسلم فانه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلا) [1] .

مجالات نشر العلمانية :

١ ـ التعليم : إن من أخطر الأساليب التي اتبعها التغريب بعامة والعلمانية بخاصة (التعليم والثقافة) بهدف تمييع الشخصية الاسلامية ، ووضعها في القالب الذي يريده ، ذلك لأن التعليم طريق مختصر وممهد لتضليل الأفكار ولتشويه الحقائق ولبلبلة الآراء . . قد يسهل على المدرس الأوروبي (شرقيا كان أو غربيا) أن يضع الأمور حيثما يشاء ، وبالمقياس الذي يخدم مصلحته ثم يوجه الأنظار إليها ، ويسلط الأضواء عليها ، فإذا الجيل بأكمله يرى ما يراه المدرس ، وإذا بالطالب يهوى ما يهواه مدرسه ، ويبغض ما يبغضه مدرسه ، ويرى المستقيم مائلا والمائل سويا ، والصحيح خطأ والخطأ صحيحا ، لأنه إنما ينظر إلى الأشياء بمنظار مدرسه . . وهكذا تقلب المفاهيم وتنكس الحقائق وتتغير المبادىء تبعا لمطامع ونوايا المدرس ، وبهذه الطريقة تتمكن الفئة الضالة المضلة من تغيير اتجاه جيل من الأجيال ، وإذا فسد الجيل فمن العسير بمكان إعادة الأمور إلى أوضاعها والمياه إلى جداولها ، والقيم الى مفاهيمها ، ومن العسير أيضا ابعاد الشبهات بعد انتشارها ، وتصحيح الأفكار بعد فسادها .

يقول الدكتور عبد الستار فتح الله ، في كتابه (الغزو الفكري ، والتيارات المعادية للإسلام) : (لقد تنبه كثير من المسيحيين الى سذاجة فكرة التبشير

---

(١) عن كتاب شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي ص ٣٠ .

بمسيحيتهم . . لأن عناصر الإسلام وحقائقه الراقية . تسمو إلى غير ما حدود عما لدى المبشرين من عقائد وأخلاق وعادات تطبع المسلم بطابع الإحساس بالتفوق والاعتزاز بدينه ، لذلك اتجه التفكير التبشيري إلى ايجاد (حامض) مذيب لهذه المناعة الإسلامية في نفوس المسلمين ، وقد كان التعليم والثقافة الأوربية هما أخطر المواد التي استخدمت في تحقيق هذا العمل التخريبي الهدام على أوفى الوجوه)[1] .

وقد أدرك المبشرون أنفسهم أهمية (التعليم والثقافة) كوسيلة لبث أفكارهم فقال زويمر : (المدارس هي من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين ، وقد كان عدد التلاميذ في المدرسة التبشيرية في طهران قبل سنتين فقط (٤٠ الى ٥٠) فصاروا الآن (١١٥) وكلهم يتلقون التربية النصرانية بكل إتقان . وكذلك الحال في مدرسة تبريز التي يديرها هذا القسيس ، فقد كان فيها (٣) تلاميذ من المسلمين ثم صاروا (٥٠) . . .)[2]

يقول القسيس (سن كلير تيسدال) في تقرير له عن التبشير في فارس : (بذلت إرساليات التبشير جهدها في بلاد فارس ونجحت في تبديد ما يعتقدونه في النصارى من أنهم مشركون بالله ويعبدون آلهة ثلاثة . وهذا الاعتقاد وقر في نفوس المسلمين لما يشاهدونه في الكنائس الشرقية والكاثوليكية إلا أنهم عادوا الآن فصاروا يفرقون بين الفرقتين النصرانيتين وتبين لديهم أن البروتستانية خالية من الوثنية فارتاحوا لها)[3]

وقال أحد المفكرين الإسلاميين : (ما طمحت الدول الأوربية الى الاستيلاء على بلد أو اقليم من الشرق عموما إلا وسبقت إليها بافتتاح المدارس بمرسليها الدينيين ، ومن تخلق باخلاقهم ليعدوا لها طريق الاستعمار ، علما منهم بأن مأمورية هؤلاء المعلمين ليست عبارة عن بث الأخلاق ، وتعاليم ـ دينية كانت أو فنية ـ وهم إذا دخلوا قرية ، وظهروا بهذا المظهر لا يلاقون معارضة أو ممانعة ،

---

(١) من الكتاب نفسه (ص ٣٧) بتصرف .

(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص ١٠١ .

(٣) الغارة على العالم الاسلامي ص ٩٩ .

لأن حجتهم نشر العلم والتهذيب ، ورفع لواء التمدن ، ومن لا يرضى بذلك فليس له من اسم الانسانية نصيب وتقوم عليه قائمة حرب التعنيف والتنديد بلسان كل خطيب وقلم كل كاتب ، فلا مناص من أن تقبل هذه الأقاليم الشرقية الوافدين إليها من المرسلين الذين لهم نصراء الهداية والمعارف والتمدن في ظاهر العين وسفراء الاستعمار والاستيلاء في الحقيقة ، وهل يتصور أن قوما جازوا البحار وتجشموا الأخطار لمحض منفعة من وفدوا إليهم خدمة للانسانية كما يقولون ؟

كلا . . ولا هي محض التكسب واستجلاب الدرهم والدينار . . إننا نعلم حق العلم أنه ما من مدرسة من هذه المدارس إلا ولها جمعية من الجمعيات الخيرية في مملكتها ، تنفق عليها النفقات الطائلة ولا يكون ذلك عبثا ، ونرى بأعيننا من جهة أخرى أن كل دولة غربية ما وضعت يدها على أمة أو قبيلة ـ تملكا أو حماية ـ إلا وجعلت مقدمة ذلك المدارس ، فبان أن المقصد العظيم والباعث القوي هو سياسي وملّي في آن واحد)[1] .

وقد عقد المبشرون مؤتمراً في (أدنبرج) سنة (١٩١٠ م) وحضره (١٢٠٠) مبشراً من المندوبين . . وتفرع إلى لجان ثمان ، خاضت اللجنة الثالثة منها في الأعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون فقالت : (اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها)[2]

ويقول القائد الفرنسي الجنرال (بيير كيللر) عن وسائل التأثير الفرنسي في الشام قبل احتلالها : (التربية الوطنية كانت بكاملها تقريبا في أيدينا ، وفي بداية حرب عام (١٩١٤) كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء فتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة ، مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألفت في باريس تعلن عام ١٩١٧ م أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا ، بعد أن تعلموا لغتها وخبروها على مر

---

(١) عن كتاب الغزو الفكري ص ٣٩ .

(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص ١١٥ - ١١٩ .

الأجيال وتأكدوا من اخلاصها وتجردها) .

ويقول أيضا : (إن كلية عينطور في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية) ويقول : (إن مؤسساتنا تعمل دون ملل لتغذية النفوذ الفرنسي مثل : معهد الدراسات العبرية في القدس ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة ، والمدرسة الاكليريكية الدومينيكانية في الموصل . .)[1]

ويصرح زعيم المبشرين النصارى (زويمر) بالأثر الذي خلفته المدارس الأجنبية في البلدان الإسلامية قائلا : (لقد قبضنا ـ أيها الاخوان ـ في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، وانكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشىء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات . . فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء)[2] .

وتلك الأقوال وهذه التصريحات تبين السر في اهتمام المبشرين بإنشاء مدارس تبشيرية في المدن والقرى على السواء ، وفي إرسال المدرسين والمدرسات الى تلك المدارس ، وفي الإشراف الكنيسي الكامل على مناهج التعليم والتثقيف في البلاد الإسلامية ، التي امتدت إليها الأيدي الآثمة ، أيدي الكفر والضلال ، أيدي الفساد والبغي . . وكان للمبشرين أسلوبهم في توجيه التعليم الوجهة التي يريدونها : **وأول** هذه الأساليب : إنشاء مدارس مدنية ، تعلم جميع العلوم الكونية والإنسانية عدا العلوم الإسلامية . **وثاني** هذه الأساليب إلقاء الحصار المادي والمعنوي على المدارس الأهلية أو الحكومية التي تعلم العلوم الإسلامية ، وذلك بقطع المعونات المادية عنها ، وبالتقليل من مكانة أستاذ الدين وبالاستخفاف بالأقوال التي يتفوه بها . . وبوسمه بالرجعية والجحود والتحجر . .

---

(١) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٢٦٤ .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ص / ٦٣ .

وثالثها : انشاء مدارس تبشيرية تمول من قبل حكوماتها وكنائسها ، فقد انشىء في دمشق على سبيل المثال ثلاث مدارس تحتضن أبناء المسلمين منذ العمر المبكر حتى يصلوا الى المرحلة الجامعية ، بالإضافة إلى إنشاء الجامعة الأمريكية في بيروت وفي مصر . .

ورابعها : إرسال البعثات من أبناء المسلمين إلى البلاد الأجنبية لمتابعة الدراسة قبل أن ينهلوا من الثقافة الإسلامية شيئا وقبل أن يقوى وازع الايمان في قلوبهم وقبل أن تنمو شخصيتهم الإسلامية . . هؤلاء الشباب يرسلون خاوية عقولهم من العلوم الاسلامية ، فارغة قلوبهم من الولاء للمسلمين ، غير راسية أقدامهم على المبادىء الدينية . . زائغة أبصارهم ، حائرة آمالهم . هؤلاء يتعلمون في جامعات أوربا كجامعة السوربون او جامعة لندن . . ثم يعودون بعد سنوات لا تقل عن الخمس من زهرة الحياة . . يعودون وهم يحملون الوباء والأمراض السارية الخبيثة . . يدعون لفصل الدين عن الدنيا ، ينادون بأن تخضع الانظمة الحياتية لقانون روماني وفرنساوي . . وهؤلاء هم الذين يحتلون مناصب القيادة في الأمة ويمسكون زمام المجتمع . . رحماك اللهم بالأمة الاسلامية .

وخامسها : وأخطرها نشر الاختلاط بين الجنسين في جميع مراحل التعليم ، وقد طبقت بحرارة وحماس وبكثرة في المرحلة الجامعية ، وهي مرحلة الشباب الأول المتفتح المتوثب ، وفي المرحلة الابتدائية التي تمتد إلى سن المراهقة الأولى ، ولا تقل الخطورة هنا عن سابقتها ، وتزداد الخطورة بوجود أساتذة رجال في مدارس البنات على اختلاف مراحلها ، وبوجود مدرسات نساء في مدارس البنين على اختلاف مراحلها . . وربما تطاول الطيش الصبياني على الاستاذة الأنثى فأهدرت كرامتها ، وعندئذ تفقد حرمة العلم وتضيع هيبته . .

يقول الدكتور (محمد محمد حسين) في كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) : (فإذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق ملتو خفي لم يكد يتنبه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاور فيها الذكور والاناث ، ومن المعروف أن الاناث في بلادنا يدخلن سن المراهقة في وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة في كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة في مرحلة التعليم الإعدادي ، بعد أن تكشفت تجربة

الاختلاط في الجامعة عن مآس لا يستطيع تجاهلها إلا مكابر أو مدلس . . وأصبح هذا النظام ضربا من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بابنه وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم في ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثاني ـ على ظلمه وظلامه ـ لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية المرحلة الأولى على الأقل)[1] .

وقد كان لوجود المدارس التبشيرية في قلب البلاد الاسلامية ، ولمحاولة تغريب الفكر الاسلامي أثره الخطير في اضعاف كيان المجتمع الإسلامي ، وفي تشويه كثير من الحقائق الإسلامية في عقول الجيل الذي ربي في مدارس التغريب أو نهل من الجامعات الأوربية . ويمكن أن أحصر هذه الخطورة في النقاط التالية :

(١) ظهور اتجاهين فكريين مختلفين ، بل قل متضادين وهذا ما يهدف إليه التغريب ، لأن التمزق الفكري سيتبعه تمزق في الوجود الكياني للمجتمع الإسلامي ، ومن ثم يسهل ذوبان معالم الثقافة الإسلامية وتمييع الشخصية الإسلامية .

وتبعا للانقسام الفكري ، انقسم المجتمع الإسلامي إلى قسمين ، الأول ويمثله القادمون من البعثات الأوربية والمتعلمون في مدارس التغريب ، وهؤلاء يدعون إلى الانفتاح الكامل على المجتمع الغربي الأوربي ، كما ينادون بضرورة الاقتباس من عاداتهم وتقاليدهم وآرائهم ، وإن كانت مخالفة لحقيقة الإسلام وجوهره . . ويذكر الدكتور محمد محمد حسين نموذجين لهذا الاتجاه **أولهما** : (سلامة موسى ، في كتابه اليوم والغد) (الذي احتوى على مقالات نشرت في خلال سنتي **١٩٢٥ ـ ١٩٢٦** م وأضيف إليها مقالات عند نشر الكتاب سنة **١٩٢٧**م)[2]

---

(١) ص / ٢٣٨ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٢٢١ وما بعدها الطبعة الثالثة .

يقول سلامة موسى : (كلما ازددتُ خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراض في الأدب كما أزاوله . فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا : (ديانة) وأن نلتحق بأوربا ، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني . وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها . هذا هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي ، سرا وجهرا . . فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب) . ويقول : (أريد أن تكون ثقافتنا أوربية لكي نغرس في أنفسنا حب الحرية والتفكير الجريء) كما يفصح عن إرادته بقوله (أريد من التعليم أن يكون تعليما أوربيا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه) و (يريد من الحكومة أن تكون ديموقراطية برلمانية كما هي في اوربا ، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون ، أوتوقراطية دينية)[1]

ويقول : (إن هذا الاعتقاد بأننا شرقيون قد بات عندنا كالمرض ولهذا المرض مضاعفات ، فنحن لا نكره الغربيين فقط ونتأفف من طغيان حضارتهم فقط ، بل يقوم بذهننا أنه يجب أن نكون على ولاء للثقافة العربية ، فندرس كتب العرب ونحفظ عباراتهم عن ظهر قلب كما يفعل أدباؤنا المساكين أمثال المازني والرافعي ، وندرس ابن الرومي ونبحث عن اصل المتنبي ، ونبحث في علي ومعاوية ونفاضل بينهما ، ونتعصب للجاحظ . وليس علينا للعرب أي ولاء ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب وبعثرة لقواهم ، فيجب أن نعودهم الكتابة بالاسلوب المصري الحديث ، لا بأسلوب العرب القديم . . ثم يجب أن نذكر أن إدمان الدرس للعرب يشتت الأدب المصري ويجعله شائعا لا لون له)[2] .

ويقول : (لنا من العرب ألفاظهم ، ولا أقول لغتهم ، بل لا أقول كل ألفاظهم ، فاننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية ، وهي لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء اذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن) .

ويقول أيضا : (ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان ،

---

(١) كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق .

ولا بأس من أن نعتمد على الترجمة إلى حد بعيد حتى يتمصر العلم وتتمصر ألفاظه وعندئذ نسير فيه بالتأليف . . . . .) (ولكن تعليم العربية ، في مصر لا يزال في أيدي الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعا في الثقافة العربية ، أي ثقافة القرون المظلمة ، فلا رجاء لنا بإصلاح التعليم حتى نمنع هؤلاء الشيوخ منه ، ونسلمه للأفندية الذين ساروا شوطا بعيدا في الثقافة الحديثة)[1] .

والنموذج الثاني لدعوةالتغريب يمثله د . طه حسين ، في معظم كتاباته ، ولكنه أشد ما يكون بروزا ووضوحا وحماسة في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) الذي ظهر عام **١٩٣٨** م .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : (وهذا الكتاب أشد خطرا من الكتاب السابق (يعني كتاب اليوم والغد لسلامة موسى) وأبلغ أثرا . وترجع خطورته إلى أن صاحبه قد شغل مناصب كبيرة في الدولة ، مكنته من تنفيذ برامجه أو إرساء أسس تنفيذها على الأقل . فقد كان عميدا لكلية الآداب بالقاهرة ، وكان مديرا عاما للثقافة بوزارة التربية والتعليم (المعارف وقتذاك) . وكان مستشارا فنيا بها . وكان مديرا لجامعة الاسكندرية . وكان آخر الأمر وزيرا للتربية والتعليم ، ثم إن شهرته وكثرة المعجبين به وتأثر الكثرة الكبيرة من تلاميذه بآرائه ومناهجه وافتتانهم بها قد زاد في خطورة أثره)[2] .

يقول طه حسين : (إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب) ويقول : (هذه الحضارة الإسلامية الرائعة لم يأت بها المسلمون من بلاد العرب ، وإنما أتوا ببعضها من هذه البلاد ، وببعضها الآخر من مجوس الفرس ، وببعضها الآخر من نصارى الروم . . وقد احتمل المسلمون راضين أو كارهين زندقة الزنادقة ومجون الماجنين ذلك في الحدود المعقولة ، ولكنهم لم يرفضوا الحضارة الأجنبية التي أنتجت تلك الزندقة وهذا

---

(١) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٢٨ .

المجون)[1] .

ويقول : (لا بد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر الى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث ، والنتيجة الطبيعية لهذا أننا إذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهري الخالص ، ولم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة ، عرضناهم لأن يصاغوا صيغة قديمة ، ويكونوا تكوينا قديما ، وباعدنا بينهم وبين الحياة الحديثة التي لا بد لهم من الاتصال بها والاشتراك فيها ، وعرضناهم لطائفة غير قليلة من المصاعب التي تقوم في سبيلهم حين يرشدون ، وحين ينهضون بأعباء الحياة العملية ، فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى ، تقتضيان إشراف وزارة المعارف على التعليم الأولي والثانوي في الأزهر)[2] .

وهكذا نلمس في فكر هذين الرجلين التأثير القوي الذي أحدثته حركة التغريب ؛ فهما في كل قول من قوليهما يهدمان ركنا من أركان الإسلام ، وفي كل تعبير من تعبيراتهما يهاجمان شعيرة من شعائر الدين ، وهما يكرهان الشرق لأنه متمسك بدينه ، ويحبان الغرب لأنه نبذ الدين . . ويدعوان بصراحة دعوة مباشرة وغير مباشرة علنية وسرية ، مكشوفة أو مكتومة للتخلي عن الدين وعن كل ما يربطنا به من رباط ، وأن نتخلى عن مقومات الحضارة الإسلامية وعن كل ما يشدنا إلى الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية . . ويتمنيان من كل قلبيهما : أن يلبس الشرق المسلم لباس الغرب الملحد ، وأن يأكل من أكله وأن ينهج نهجه وأن يتبع سبيله . . إنها لعمري دعوة فاسدة مريعة ضالة مضلة إنه التغريب الذي غير فيهما النظرة الإسلامية تغييراً كاملاً .

القسم الثاني : ويمثله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، تربوا التربية الدينية ، وأخذوا بالعلوم الإسلامية ، فوفوا لها ودافعوا عن التراث الإسلامي ، وأبرزهم رشيد رضا والعقاد ، ومصطفى صادق الرافعي .

يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه (المعركة بين القديم والجديد تحت

---

(١) مستقبل الثقافة (الفقرة ٩ ص ٤٦ - ٥٠) نقلا عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر .

(٢) مستقبل الثقافة (الفقرة ١٣ ص ٧٥ - ٧٧) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٣٧ .

راية القرآن) عن الذين يدعون للتغريب (فئة من شبابنا قد أخذوا بغير أخلاق هذا الدين ، ونشأوا في غير قومه وعلى غير مبادئه ، فرأوا فيه بظنونهم وقالوا برأيهم ورضوا له ما لا يرضاه أهله ، فهؤلاء مهما كثروا لا يستطيعون أن يحدثوا حدثا ، بل يفنون والجماعة باقية ، وينقصون والأمة نامية ، ويذهبون إلى رحمة الله ، ومن رحمة الله أنهم لا يعودون ثانية)[1] .

أجل ما زال للدعوة الحميدية ألسنة ناطقة ، وأقلام كاتبة ، وأفواه معبرة ، وأيدي عاملة وآذان واعية ، وأدمغة مفكرة وأفئدة مخلصة ، ما زال للحق رجال ينافحون عنه ويحمون حماه ويذودون عن حياضه ، ويبذلون النفس والنفيس والغالي والعزيز في سبيل أن ينصر الحق وأن ترتفع رايته وأن يعلو شأنه وأن يزدان قدره وأن تقوى شوكته . . وإنه من تمام النعم على الأمة عدم خلو الأرض من قائم لله بحجته ، ووجود هؤلاء الرجال المخلصين المدافعين الثابتين الصابرين علامة من علامات عظمة الإسلام ، وبرهان من براهين قوة الدعوة الخالدة ، ودليل من أدلة استمرار الديانة الغراء الخالدة التي تكفل الله تبارك وتعالى من علياء سمائه بحفظها وبقائها ما بقيت في الأرض حياة . .

(٢) الخطورة الثانية التي خلفتها مدارس التغريب :

ابتعد الذين دعوا إلى العلمانية عن روح الإسلام ، وعن فهم مبادئه ، فداخل إيمانهم الضعف ، وبذرت في قلوبهم بذور التشكيك وعدم اليقين وعلت أبصارهم غشاوة الافتتان بالغرب فلم يميزوا بين الغث والسمين وبين الباطل والحق وبين الخبيث والطيب . . فحسبوا أن النهضة الفكرية والعلمية والأدبية والاجتماعية تكمن في تقليد الغرب ، وفي اتباع سننهم حذو القذوة بالقذوة ، ولم يقارنوا بين بيئتهم الجاهلة وبيئتنا النيرة وبين ظروفهم الداكنة وظروفنا الواضحة ، وبين دينهم المحرف ودیننا المحفوظ . .

وقد عموا عن إدراك أسباب عزنا الأول ومجدنا العظيم وحضارتنا التليدة ، حينما كانت أوربا غارقة في ظلمات الجهل ، وحينما كانت الكنيسة تصدر أحكامها بالإعدام على من يبحث في علم من العلوم بحثا منطقيا سديدا ، ومن

---

(١) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ ص ٢٤٤ .

يدري لعلهم نسوا التاريخ الإسلامي الزاهر وأيامه الباسمة ، أو إنهم درسوا هذا التاريخ دراسة مشوهة مكتوبة كتابة أوروبية مغرضة أو صهيونية ماكرة أو إلْحادية طاغية ، ومهما يكن فحري بهم أن يفكروا تفكيرا سويا ، وأن يمحصوا الأمور ويفندوها ويردوا النتائج إلى أسبابها . . وأن لا ينسلخوا من أمتهم ، ومن دينهم ، ومن شخصيتهم ،

(٣) وثالث هذه الأخطار التي خلفتها مدارس التغريب يكمن في أن الذين تأثروا بأفكار الأوروبيين ، ورضعوا لبانهم ، وشربوا من مشاربهم ، ونظروا بمنظارهم . . وبهروا بمدنيتهم ، ووسائل معيشتهم قد اتخذوا في البلاد الإسلامية مراكز اجتماعية رفيعة ومناصب حكومية عالية ، فغدوا قادة للفكر وروادا للتجديد ، ودعاة للنهضة الحديثة المنشودة ، وعندئذ تمكنوا من نشر أفكارهم وبسط آرائهم ، وامتدت أيديهم للتلاعب في مناهج التعليم ، ولوضع مخططات ثقافية جديدة تتناسب مع الوقت المعاصر والزمن المتطور والأحداث المتغيرة . . وبغمضة عين ، وبخطة قلم أبعدوا العلوم الدينية عن المناهج التعليمية في كافة المراحل الدراسية واكتفوا بوضع مادة سموها (التربية الدينية) ثم تمادوا أكثر فأكثر فاقترحوا أن تسمى مادة (الأخلاق الدينية) ويدرس تحت هذا العنوان الأخلاق الاسلامية والمسيحية والموسوية . . ؟ أو ليست كلها ديانات سماوية . . ؟ أو ليست كلها تدعو إلى التخلق بالفضيلة . . ؟ ومن ثم تعالت صيحات تطالب بدمج التعليم الديني المسيحي (الكنيسي) مع التعليم الديني الإسلامي بكتاب واحد . . وإذا كان الطلاب المسلمون يتعلمون دينهم فلم لا يتعلم الطلاب المسيحيون دينهم أيضا ، وكلهم في مدارس حكومية سواء . . هذا ما فهمه دعاة الباطل من التجديد ومن ملاءمة مقتضى العصر ومن مسايرة الأحداث والوقائع . .

وهم قبل هذا الإجراء جعلوا التعليم قاصراً على العلوم المدنية والوطنية ، مع دراسة لبعض الوقائع التاريخية المكتوبة بأقلام مسمومة ماكرة خبيثة . . والتي صورت الخلافة العثمانية صورة مشوهة ووضعتها في قالب استعماري مبدأ وسلوكاً وسيرة وتعاملا واخلاقا .

وصورت احتلال الدول الأوربية السياسي والعسكري للبلاد الإسلامية ، بصورة المحب المشفق ، فلم يكن استعماراً ولا احتلالاً وإنما كان حماية

ووصاية ، وخدمة للإنسانية ، ففي هذا العهد انتشرت المدارس والجاليات التعليمية والإرساليات الطبية ، حرصاً على قتل الأوبئة في مهدها ، والتخلص من الأمراض المستعصية ، وليأخذ المسلم نصيبا من الوعي الصحي والوعي التعليمي . . هذه رسالة الاستعمار . . إنها رسالة شريفة تعمل لغاية نبيلة . . هذه الصور المقلوبة رأسا على عقب وهذه الحقائق المنكوسة هي التي دُرسَت في عهد الاحتلال الأوربي للبلاد الإسلامية وما زالت تدرس إلى الآن وبعد زوال الاستعمار العسكري استبقاء للاستعمار الفكري ومهادنة لسياسة الغرب والشرق ، وتعايشا سلميا لعدو لدود متربص لا يغفل عن المكر والخداع والخيانة والنيل من الحرمات الإسلامية والمقدسات الدينية . .

وبعد . . فهل أدرك القائمون على التعليم خطورة إبعاد التعليم الديني عن التدريس في المدارس المتوسطة والثانوية . . وخطورة الاستهانة بمدرس العلوم الدينية والتقليل من مكانته والانقاص من قدره ، والسعي لإغلاق فمه وإخراس لسانه ، وصم أذنيه ، وإسبال جفونه .

وهل أدركوا أهمية الاتجاه إلى تدريس الثقافة الاسلامية ، وإنارة الفكر الإسلامي في المرحلة الجامعية على اختلاف فروعها وكلياتها وأقسامها .

نريد نحن ـ المسلمين ـ أن نعلم أبناءنا وبناتنا التعليم الصحيح السليم ، تعليما فكريا وروحيا وجسميا ، تعليما خاليا من الغرضية ومن المطامع القريبة ومن الأهواء الشخصية . . التعليم المتكامل الذي يجعل من أولادنا جيلا متفتحاً واعياً يقظاً حذراً فطناً كيساً فاهماً لمبادئه معتزا بدينه متذوقا لِلغته مرتبطا بتراثه الإسلامي وأمته الإسلامية ، متصلا بإخوانه في كافة أقطار العالم وفي مختلف الأوطان والبيئات ، من غير اعتبار للحدود المصطنعة أو الألوان المتباينة ، أو اللهجات المتعددة . . نريد أن نجعل العلوم الدينية أساساً للتعليم في كافة المراحل ، بل وأساساً للحياة ، لأنه لا انفصام في الاسلام ولا ازدواجية ولا ثنائية . . فالإسلام أصل ونبع ، ولا نريد أن ننقص العلوم الدنيوية حقها . .

نريد أن نكتب تاريخنا بأيدينا ونبعد الوجود الاستشراقي والتبشيري والإسرائيلي والإلحادي عن تاريخنا وعن حاضرنا ومستقبلنا . .

نريد أن نشيدمكتبتنا بأيدينا وأن نزيدها ثراء بأقلامنا وأفكارنا الأصيلة .

نريد أن نكون كما أراد الله لنا خير أمة أخرجت للناس ، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله وندعو للخير . .

ولا نريد التبعية ، ونكره الانقياد لأي مبدأ سوى الإسلام ولكل فكرة سوى الإيمان بوحدانية الله ، ولأي سلطان سوى سلطان الله تبارك وتعالى . .

هذه هي الشخصية الإسلامية وهذا هو الفكر الإسلامي الأصيل .

العلمانية والإعلام :

ليس التعليم وحده قادراً على أن يصيغ الرجال صوغاً معيناً ، وإنما هناك مصنع آخر له نفس القدرة إن لم أقل تربو عنها . . هذا المصنع تتعدد ألوانه وتختلف أشكاله ويزداد أثره ويكثر انتشاره ويعيش مع الأفراد والجماعات والرجال والنساء والشبان والشيوخ والأطفال والكبار والجهلة والمتعلمين . . إن هذا المصنع الضخم ذا الحياة الدافقة ، والحركة الدائبة هو « الإعلام » على تعدد وسائله . . من صحافة و (راديو) و (تلفزيون) . إن هذا المصنع وسيلة هامة وله دور خطير في الحياة ، فقد يخدم الخير ويكون وسيلة للنطق بالحق ولسماع الحق ، وقد يكون وسيلة شر يستخدم أداة للباطل ، يقف إلى جانبه ، ويعلي صوته ، ويسمع كل الآذان ، ويضلل الأفكار ، ويشوه الحقائق . .

وقد فطن العدو الماكر إلى أهمية الاعلام فاستغله على أوسع نطاق ، ويلاحظ المستشرق (جب) أن النشاط التعليمي والثقافي (عن طريق المدارس العصرية والصحافة) قد ترك في المسلمين أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ، ثم يعقب على ذلك بقوله : وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار . ثم يقول : الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلاً من قوته وسلطانه ، ولكن الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته ، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه ، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضا صريحا . ولكنها تشق طريقها ، بالرغم من ذلك إلى المجتمع الاسلامي في قوة وعزم . .

فإلى عهد قريب ، لم يكن للمسلم من عامة الناس ، أي اتجاه سياسي ، ولم

يكن له أدب إلا الأدب الديني ، ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين ، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين . كان الدين هو كل شيء بالقياس إليه . أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود . وتعددت ألوان نشاطه الذي لم يعد مرتبطاً بالدين . فقد أصبحت له ميوله السياسية وهو يقرأ ـ أو يقرأ له غيره ـ مقالات في مواضيع مختلفة الألوان لا صلة لها بالدين ، بل إن وجهة نظر الدين فيها لا تناقش على الاطلاق ، وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل ، ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية قد لا يعرف أصولها ومصادرها ولكنه يعرف على كل حال أنها ليست مأخوذة من القرآن ، وبذلك لم تعد التعاليم الدينية القديمة صالحة لامداده في حاجاته الروحية ، فضلاً عن حاجاته الاجتماعية الأساسية ، بينما أصبحت مصالحه المدنية وحاجاته الدنيوية هي أكثر ما يسترعي انتباهه . وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية ، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعي وانتباه . وكان الذين ادركوا هذا التطور قلة ضئيلة من المثقفين ، وكان الذين مضوا فيه عن وعي وتابعوا طريقهم فيه عن اقتناع قلة أقل . وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه . . وقد يبدو الآن من المستحيل ـ مع تزايد الحاجة إلى التعليم ومع تزايد الاقتباس من الغرب أن يصد هذا التيار ، أو يعاد الإسلام إلى مكانته الأولى من السيطرة التامة التي لا تناقش على الحياة السياسية والاجتماعية)[1] .

ويقول جب : (إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي . .)[2]

ويرى جب : أن مديري الصحف اليومية ينتمون إلى ما يطلق عليه اسم التقدميين ، ولذلك فإن هذه الصحف واقعة تحت تأثير آراء الغرب والأساليب الغربية بما تشتمل عليه من مقالات مترجمة ومن كتابات تشرح الحركات السياسية

---

(١) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٢) عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٢١٧ .

والاقتصادية في أوربا[1] .

والصحافة التي تعمل لحساب العلمانية تعتبر من أهم وسائل الإعلام لدى حركة التغريب ، باعتبارها أكثر الوسائل الإعلامية شيوعا وأبعدها تأثيراً ، سواء كانت محلية أو مستوردة . . وهي تتبع أسلوب المديح والتمجيد لأوربا وللحياة الأدبية ، بحيث تدفع كل قارىء لأن تكون أحلى أمانيه أن يؤم أوربا وأن يعيش في جوها وأن يستمتع بحياة الرفاهية والترف . . وإن أوربا اليوم قد أصبحت ـ في أقلام الصحفيين ـ مدينة الأحلام لما تسودها من حرية بعيدة المدى شاسعة الآفاق ، حرية بالرأي وحرية بالقلم وحرية بالقول ، وتمرد على القيم التي كانت تربطها بالكنيسة ، وتمرد على تقاليد الكنيسة . . وقد تقدمت أوربا تقدما سريع الخطى في الجوانب الاقتصادية والمالية والاجتماعية والتعليمية ، وما هذا إلا لسر دفين هو فصل الدين عن الدولة ، وإخضاع إدارة الحياة الداخلية والخارجية ، السياسية والأمنية لهيئة علمانية بعيدة كل البعد عن الدين . . وتوحي هذه الكتابات بأن كل مجتمع يريد أن يصل إلى ذروة التقدم وسنام النهضة عليه أن يخلع عن عنقه كل دين ، وكل قيمة تربطه بالدين ، فما المثل وما المبادىء إلا كلمات قديمة تسم صاحبها بسمة الجمود والرجعية والتحجر .

وهكذا أصبحت الصحافة في معظم البلاد الإسلامية صوتاً ناطقاً لدعوات التغريب ، وصورة مزركشة ملونة بأحلى الألوان لعالم عاجي مذهب يدعى (أوربا) .

في مقال كتبه (ألمرد وغلاس) بعنوان (كيف انضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر) يعلق على هذه الوسائل فيقول : (إن هذه السبل لا تجعل الأطفال نصارى ولكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم ، ومثل هذه الجهود يبذلها المبشرون في شمال أفريقيا ومصر)[2] .

ومما جاء في بروتوكولات صهيون : (ينبغي أن نتمكن من السيطرة على الصحافة ووكالات الأنباء وشركات النشر والاعلان والتوزيع والمطبعة وأدواتها

---

(١) المصدر السابق . ٢/٢١٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ١٩٤ .

والكتاب والمفكرين حتى لا تفلت من بين أصابعنا وسيلة من وسائل القوة المحركة للرأي العام . . كل ذلك تحت ستار حماية الأمن العام والصالح العام . .

كما تدعو الضرورة (لتشديد الرقابة على وكالات الأنباء العالمية حتى تحول دون نشر الأخبار الضارة بالصالح اليهودي)[1] لا شك أن السيطرة اليهودية على المطابع تتيح لها السيطرة على تفكير الشعوب .

وجاء في أحد بروتوكولات صهيون : (تستلزم المصلحة العليا تحويل الصحفيين والكتاب والمفكرين إلى مأجورين من المرتزقة وتوزيع المواضيع التي يحق لهم التعرض لها والحدود التي يلتزمون بها ، وتحويل أنظار الشعب عما يلحون في طلبه وذلك بشغله بمواضيع أخرى غير مجدية ، فلا ينبغي مناقشة المواضيع السياسية العليا . . ويستبدل بها مناقشة شؤون الخبز والتموين والتجارة والصناعة والرياضة . . وبذلك يخلو لشعب الله المختار بحث الشؤون السياسية)[2] .

وعلى هذا فإن للصهيونية مخططاً إعلامياً خاصاً بها ، بعيد الهدف شديد الأثر هذا المخطط يسعى جاهداً لشراء ضمائر مديري الصحافة والعاملين فيها ، فيستأجر أقلامهم ، ويسخر عقولهم ويستعبد قلوبهم ، فيكتب هؤلاء ما يحقق مصلحة اليهود ، وينطقون بما يخدم رغبات الصهيونية وينشرون ما ينفذ مطامع اسرائيل . .

أما ما ينفع البلاد والعباد ، وأما ما يبصر الشاب المسلم بحاضره وماضيه وبأساليب نهضته وبأسباب تقدمه . . فالصحافة لاهية عنه بكلمة خبيثة ، أو بنقد لفئة من المستمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . . إلا من رحم ربك ، ومن نجا ، وما نجت إلا الصحافة الاسلامية و لله الحمد ، لأنها ناطقة باسم الإسلام ولم تقع تحت أي استعمار عسكري أو فكري .

---

(١) أضواء على الصهيونية ص ٢٢٧ .

(٢) أضواء على الصهيونية للاستاذ مصطفى السعدني ص ٢٢٧ .

القومية :

اتخذت القومية في القرن التاسع عشر مفهوماً خاصاً يدل على تفضيل آصرة القوم على غيرها من الأواصر ، ولكن جوهر هذا المعنى كان معروفاً منذ العصور القديمة ، فقد عرف اليونان والرومان والهنود (القومية) وكانت تعني عندهم انتساب الفرد إلى قوم أو جنس معين .

وللقومية أركان خمسة عليها يرتفع بنيان هذا المفهوم ، وهذه الأركان هي :

١ ـ وحدة الجنس بمعنى الانتساب إلى أصل واحد .

٢ ـ وحدة الوطن .

٣ ـ وحدة اللغة .

٤ ـ وحدة التاريخ .

٥ ـ العوامل الاقتصادية .

يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه (هذا الدين) : (وجاء الإسلام فوجد الناس يتجمعون على آصرة النسب ، أو يتجمعون على آصرة الجنس ، أو يتجمعون على آصرة الأرض ، أو يتجمعون على آصرة المصالح والمنافع القريبة ، وكلها عصبيات لا علاقة لها بجوهر الإنسان ، إنما هي أعراض طارئة على جوهر الانسان الكريم ، وقال الإسلام كلمته الحاسمة في هذا الأمر الخطير الذي يحدد علاقات الناس بعضهم ببعضْ تحديداً أخيراً .

قال : إنه لا لون ولا جنس ولا نسب ولا أرض ولا مصالح ولا منافع هي التي تجمع بين الناس أو تفرق ، إنما هي العقيدة . . إن آصرة المجتمع هي العقيدة ، لأن العقيدة هي أكرم خصائص الروح الانساني ، فأما اذا نبتت هذه الوشيجة فلا آصرة ولا تجمع ولا كيان . إن الانسانية يجب أن تتجمع على أكرم خصائصها لا على مثل ما تتجمع عليه البهائم من الكلأ والمرعى أو من الحد والسياج .

والأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها آصرة العقيدة وهي جنسيتها وإلا فلا أمة لأنه ليست هناك آصرة تجمعها ، والأرض والجنس واللغة والنسب والمصالح المادية قريبة . لا تكفي واحدة منها ولا تكفي كلها لتكوين أمة إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة)[1] .

---

(١) هذا الدين ص ٨٣ وما بعدها .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُم وإِخوَانُكمْ وأزواجُكُمْ وعَشيرتُكُمْ وأَموالٌ اقْتَرفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرضَوْنَهَا أَحَبَّ إِليكُم مِنَ الله وَرسُولِه وجهَادٍ في سَبِيله فَتَربَّصوُا حتَّى يأتِيَ الله بأَمْرِهِ والله لا يَهدِي القَوْمَ الفَاسِقينَ ﴾ (١) .

ويقول الرسول ﷺ : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » (٢) .

هذه النصوص الكريمة تبين أن الآصرة التي يتجمع المؤمنون حولها هي آصرة العقيدة ، وهي وحدها ، خليقة بالاعتبار لأنها تتناسب مع كرامة الانسان ومع كونه خليفة لله في الأرض .

ونظرة سريعة نلقيها على التاريخ الإسلامي كفيلة أن تجعلنا مدركين لمقومات الدولة التي أنشأها رسول الاسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، تلك الدولة التي أقامها رسول الله عليه الصلاة والسلام على رابطة العقيدة كانت أقوى دولة وأرحم دولة ، لقد ألغى (ﷺ) كل الفروق التي كانت معروفة في الجاهلية والتي كانت تجمع أبناء العشيرة الواحدة وأبناء القبيلة الواحدة . . قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد فيها الأوس والخزرج ، وكان بينهما خصومات ومنازعات ، فآخى رسول الله ﷺ بين هاتين القبيلتين بالأخوة الإيمانية ، وآخى بين أهل المدينة من جهة وبين المهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم وآثروا ما عند الله ورسوله .

وهكذا أنشئت أول دولة إسلامية عرفها الوجود كله ، فتباهى بها التاريخ فخراً ، أنشئت هذه الدولة إذن على رابطة العقيدة دون الاعتبارات الأخرى ، ومن هذا المنطلق قال رسول الله ﷺ :(سلمان منا آل البيت) .

من النصوص القرآنية والنبوية ومن وقائع تاريخنا الإسلامي المشرق يتجلى أن الآصرة الخليقة بالاعتبار في منظار الإسلام هي « العقيدة » ، هذه الرابطة جديرة لأن يناط بها إنشاء أمة ، وتجمع إنسانية ، وإقامة دولة ، فهي وحدها قادرة

---

(١) التوبة / ٢٤ .

(٢) رواه البزار في مسنده .

على أن تؤلف بين قلوب البشر على اختلاف ديارهم وأجناسهم ولغاتهم واقتصادهم . . وهي وحدها قادرة على أن تجمع العالمين في دائرة واحدة ، وأن تمدهم بقيم واحدة وأن تظلهم بأنظمة واحدة ، وبشريعة واحدة ، ومن هذا كله تنبع مشاعرهم وتتحد آمالهم وغاياتهم واتجاهاتهم . .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أيّها النَّاسُ اتّقُوا رَبّكُمُ الذّي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْس واحِدَة وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وبَثَّ مِنْهُمَا رجَالاً كثِيراً ونِسَاءً ، واتّقُوا الله الذي تَسَاءَلُونَ بِه والأَرْحَام إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُم رَقيباً ﴾[1] . هذه الدعوة العالمية الإنسانية اتجهت من رب العباد إلى الناس كافة ليتجمعوا على الرابطة الإلهية ، رابطة الايمان بوحدانية الله تعالى ، رابطة الإسلام ، وهذه الرابطة تذكرهم بوحدة الأصل (خلقكم من نفس واحدة) فالتاريخ البشري في نظر الإسلام تاريخ له مكانته وله أصالته وله منزلته العالية وله رفعته وله جلاله انه يتناسب مع كرامة الانسان ومع وظيفته في هذه الأرض . . وليس ماضياً يغض المرء طرفه حياء منه ، أو خجلا من لوثة أصله ، انه تاريخ انساني له أصالته الانسانية ، ومن ثم فليس لأحد أن يفخر على أحد أو أن يستعلي على أحد إذ أن الأب واحد والأسرة واحدة ، فلم يبق إذن للجنس مكان كي يستعلي الإنسان بسببه على غيره ، ولا وجود في هذا الميزان الدقيق الحساس لاسطورة شعب الله المختار أو لأسطورة العرق الآري .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وأُنثى وجَعَلناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكُمْ إنَّ الله عَليمٌ خَبيرٌ ﴾[2] .

وقال الرسول ﷺ : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية)[3] فليست دعوة التعصب للجنس أو للون ، أو التعصب لطائفة اجتماعية دعوة معتبرة أو معترف بها في المجتمع الراقي المتقدم في ركب الحضارة وليس لها مكان أبدا في مجتمع تقوم دعائمه على أسس المودة والرحمة والتعاون والمشاركة والايثار . .

---

(١) النساء / ١ - ٢ .

(٢) سورة الحجرات / ١٣ .

(٣) رواه أبو داود .

قد تصلح دعوة التعصب لجنس أو لون أو قوم في مجتمعات بدائية ليس لها رصيد خلقي ولا قاموس أدبي ، وقد تصلح لتجمع بشري لم يستهد بهدي الله العلي العظيم ، ولم يستضىء بتعاليم الدين ، ولم يستنر بنوره الذي يبدد كل جهالة وكل ظلام . . كالمجتمع العربي قبل الإسلام . فقد كان اعتزاز العرب بأنسابهم اعتزازاً قوياً جارفاً يجعلهم في تصورهم الخاطىء في مقدمة الركب الانساني أو في منزلة أرفع من منزلة الانسان ، وكانت قريش ـ على الخصوص ـ تأخذها العزة القبلية دائماً ، فإذا حجت مؤدية عبادة لله تعالى لم تقف في عرفات حيث يقف الناس ، ولم تفض من حيث أفاضوا استعلاء واستكبارا بغير حق . فجاء الإسلام ليمنح الإنسانية عقيدة التوحيد ، ويهبها رسالة السعادة والحب والمودة والألفة والمساواة ، فقال سبحانه وتعالى :﴿ ثُمَّ أفيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ واستَغْفِرُوا الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ونلحظ اليوم ثمة مجتمعات تنادي للتكتل حول الجنس أو العرق أو القبيلة ، ويرافق هذه التكتلات آلاف من الأصوات تئن تحت وطأة الظلم ، وصيحات من الألم ـ تكتم أنفاسها ـ بسبب اختلاف اللون أو الجنس . . وكلنا يعلم ما الذي يعانيه الزنوج الحمر والسود في امريكا بسبب اختلاف الجنس واللون ، هذه الدولة التي تعتبر نفسها في مقدمة الركب العالمي حضارة ومدنية وتقدما ، بل تظن أن محور العالم في قبضتها وطوع أمرها تحركه كيفما شاءت ، ولنا أن نتساءل : أليس للأخلاق اعتبار في التقدم الحضاري ؟ أو ليس للقيم منزلتها اللائقة في الثقافة الامريكية ؟ وما يزال الملونون في افريقيا يعانون ما يعانون ويكابدون ما يكابدون من ظلم وتعسف وحرمان . . كل هذا بسبب اختلاف الألوان والأجناس . . هذا الأمر الذي ليس لهم فيه يد ولا قوة ولا حول ، ولكنه الظلم المتأصل في النفس التي لم يهذبها التوحيد ولم يحالفها السعد فتصبغ صبغة إيمانية كاملة .

وأين موقع هذه المجتمعات التي تعتبر نفسها متقدمة مدنية من المجتمع الذي أقام دعائمه رسول الله ﷺ بقوله : (أيها الناس ! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل

---

(١) سورة البقرة / ١٩٩ .

بلغت ؟ اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .)

وقد سمع مرة رسول الله ﷺ أباذر الغفاري يحتد على بلال وهو يحاوره ويقول له يا ابن السوداء ، فظهرت آثار الغضب الشديد على وجه الرسول ، واتجه بالخطاب إلى أبي ذر وانتهره قائلا : (إنك امرؤ فيك جاهلية ، كلكم بنو آدم طف الصاع ، [1] ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو عمل صالح) فوضع أبو ذر خده على الأرض وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه حتى يغفر الله له زلته هذه ، ويكفر عنه ما بدر منه من خلق الجاهلية [2] .

يذكر الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ أنه لما توغل المسلمون في مصر فاتحين حتى وقفوا أمام حصن نابليون ، رغب المقوقس في المفاوضة مع المسلمين ، فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون ، ثم طلب منهم أن يرسلوا اليه وفداً ، فأرسل اليه عمرو بن العاص عشرة نفر فيهم (عبادة بن الصامت) وكان عبادة أسود شديد السواد طويلا ، وأمره عمرو أن يكون هو الذي يتولى الكلام ، فلما وصلوا الى المقوقس تقدمهم عبادة بن الصامت ، فهابه المقوقس لسواده ، وقال لهم : نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني ، فقال رجال الوفد جميعا إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو خيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره . وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ، فقال لهم : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ، فقالوا : كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فانه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً ، وليس ينكر السواد فينا ، فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة . فقال عبادة ، حين رأى فزع المقوقس من السواد : إن في جيشنا ألف أسود هم أشد سواداً مني [3] .

وهكذا حين كان الناس يرون السواد منقصة ، ويرون الأسود غير أهل لأن

---

(١) طف الشيء يطف طفا وأطف ، واستطف دنا وتهيأ وأمكن وأشرف وبدا ليؤخذ وطف المكوك والإناء ما ملأ أصباره ، والتطفيف أن يؤخذ أعلاه ولا يتم كيله (لسان العرب) .

(٢) حقوق الانسان د . علي عبد الواحد وافي ص ١٠ .

(٣) من روائع حضارتنا ص ٦٤ .

يتولى مراتب البيض ، كانت حضارتنا الإسلامية تلقي جميع أنواع التفاضل التي تعود إلى اللون أو اختلاف الدم . .

(ولم يعرف في التاريخ الاسلامي أن مجتمعا إسلامياً كان يقيم مجتمعات مغلقة على البيض لا يسكنها السود ، كما انه لم يسجل حادثة واحدة اضطهد فيها إنسان لونه ، لأن البياض والسواد في حضارتنا ليس إلا بياض الأعمال أو سوادها .

ومع أن الحضارة الحديثة تعد من أشهر الحضارات التي عرفت بأنها قامت على مبادىء الاخاء والمساواة بين الناس ، ومع أن هيئة الأمم المتحدة أعلنت ميثاق حقوق الانسان الذي يمنع نظريا جميع أنواع التمايز ويعطي الناس جميعا حقوقا واحدة ، إلا أن العالم لا يزال يطبق التمييز العنصري بسبب اللون في أبشع صوره وأشكاله) [1] .

(ففي أمريكا بلد الحرية والعلم ـ كما يقال ـ الذي يضع الإنسان على القمر ، لا تزال تجري مأساة من أكبر مآسي التاريخ الإنساني وهي مأساة اضطهاد الزنوج ، وعدم الاعتراف للعناصر الملونة بالمرتبة الإنسانية التي يتمتع بها الأبيض ، ومع أن الزنوج يعتبرون مواطنين في هذه الدولة التي تحمل أعلام الحضارة الحديثة المعاصرة إلا أنهم لا يستطيعون أن يمارسوا عملياً حقوق المواطن كما يمارسها المواطن الأبيض ، وفي ذلك يقول أحد رجال السياسة من البيض هناك : (ليس لأي رجل ملون يغمر قلبه الرغبة في المساواة السياسية عمل ما في ولايات الجنوب ، إن هذه البلاد ملك للرجل الأبيض ويجب أن تظل كذلك) [2] .

وعلى هذا فالإسلام أوجد الأمة التي يربط بين أفرادها رباط العقيدة ، ومن هذه العقيدة تتولد الآمال المشتركة ، واللغة الموحدة ، والتاريخ الزاهر الذي يشع حياة وحركة وتفاعلاً . . وتنمو في الأمة المصالح المشتركة والعلاقات الاجتماعية القوية .

---

(١) المصدر السابق . ص ٦٥

(٢) من روائع حضارتنا للدكتور السباعي ص ٦٨ .

ولهذا فإن ـ الأتراك المسلمين ـ يعتزون بالتاريخ الإسلامي ، ويعتبرونه جزءا من كيانهم ، وكذلك الحال مع الأكراد ، ومع الايرانيين ، ومع العرب الذين يفخرون بتاريخهم الإسلامي دون أن يعتزوا بأبي جهل أو بأبي لهب ، وكذلك الشأن مع المصريين الذين يعتزون بالتاريخ الاسلامي لا بالتاريخ الفرعوني . . وما قيل في هؤلاء يقال في كافة الأجناس التي انتظمها الإسلام بعقد منضد موحد لا نرى بين حياته تمايزا ولا اختلافا ، ولا تباينا . .

كتب شاه ولي الله عالم دلهي المتوفى سنة (١٧٦٥ م) يقول : (نحن غرباء في هذه البلاد (أي الهند) فلقد جاء أجدادنا منذ القديم ليعيشوا هنا ، فالنسب العربي واللغة العربية هما موضع اعتزازنا وافتخارنا وبهما كان طريقنا إلى معرفة الله رب الأولين والآخرين ، ولمعرفة محمدﷺ أشرف الأنبياء والرسل ، وعلينا أن نشكر الله على سابغ رحمته علينا ، وذلك بالتمسك قدر استطاعتنا بعادات وتقاليد أجدادنا العرب فقد جاء من بينهم نبينا الكريم ، وإليهم توجه أول ما توجه في دعوته) [١] .

ذلك لأن الإسلام ، وهو بدء ميلاد الانسانية ، حمل إلى البشر ، ولأول مرة في التاريخ (الأخوة الإيمانية) ووحدة الجنس الإنساني ووحدة الفكر ووحدة العقيدة ، بديلا عن الوثنية والشرك في الفكر والقلب ، فهو الدين الوحيد الذي حرر الإنسان من فساد الجماعة ، والجماعة من طغيان الفرد ، وحرر النفس البشرية ذاتها من عبادة غير الله ، ومن الخوف والرهبة لغير الله ، وحرر العقل من التحجر والجمود والخمول ، ودفعه دفعا قويا إلى الكون المفتوح ، لينظر ويتأمل ، ويفكر ويرى وليمحص ويختبر ويعيد النتائج إلى أسبابها ، ويربط بين الحركة ودوافعها ، فجعل العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير واستخدام واستعمال ، لا علاقة هيبة وخوف ، وتصور لأوهام خرافية أو أساطير غير حقيقية . . فللإسلام وحده يعود الفضل في دفع الفكر البشري للبحث والتجربة والعلم والبرهان والدليل والحجة ، وهذا ما أدى إلى انشاء العلوم التجريبية التي تدين اليها المدنية الحديثة ، والحضارة المعاصرة .

---

(١) الغرب والشرق الأوسط تأليف برنارد لويس تعريب نبيل صبحي ، نقلا عن كتاب معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص ١٤٥ الطبعة الثالثة .

وكلنا يعلم أن الحضارات قبل الإسلام كانت قائمة إما على الوثنية الفارسية وإما على المادية اليونانية ، وكل ما أثر عن علماء اليونان والفرس كان عبارة عن محاولات بشرية لتبرير رغبات الإنسان ومطامعه وأهوائه ، لذلك كانت غارقة في الخيال ، بعيدة عن الواقع متعسفة بحق الإنسان وبحق الجماعة ، إلى أن جاء الإسلام ، فأهدى للبشرية الإيمان والعلم والمعرفة القائمة على التجربة والملاحظة ، وقذف في قلب الانسان التوحيد وحب التحرر من كل سلطة إلا سلطان الخالق ، وحب معرفة الحق ، والجهر به ، ونتج عن هذا كله ما نراه اليوم من نهضة علمية ، وتمحيص فكري وتحرر نفسي . . ومن هنا ، فإن العلماء الذين شادوا الحضارة الإنسانية ودونوا العلوم والمعارف ، وتوصلوا إلى النظريات الرياضية والفيزيائية والكيمائية ، وإلى العلاجات الطبية ، ووصف الأعراض المرضية ، ليسوا فرسا ، وليسوا عرباً ، وليسوا أتراكاً . . وإنما هم المسلمون ، لأن الإسلام ـ وحده ـ هو الذي حرر الفكر البشري والنفس الإنسانية من الأوهام والأساطير ومن القيود والأغلال ، وأعاد تكوينها تكويناً جديداً منفعلا مع التوحيد متجاوبا مع الإيمان . . فأنتجوا ما أنتجوا من محيط القرآن والإسلام وليس من محيط بلادهم أو تراثهم . . (ذلك أن الإسلام إنما أعاد صياغة عقليات وقلوب ونفوس أربابه وأصحابه خلقا جديدا ، فشكلهم على نمط جديد هو روح الإسلام ، ومن قلب هذا الروح كان انتاجهم ، ومن هنا ، فإن هذا التكوين النفسي والعقلي هو بمثابة الجنس والأخوة الإسلاميين)[1] .

وعلى هذا فإن الفتوحات الإسلامية والمواقف الحاسمة والبطولات الخالدة ، والمعاملة المثلى ، والسماحة الكريمة والعدالة الاجتماعية ، لم تكن لأيد عربية ولا فارسية ولا تركية ولا مصرية ، وإنما كانت لأيد إسلامية فقط ، ذلك لأن الإسلام دين عبادة وجهاد ، عقيدة ومنهج حياة ، نظام وقانون ، مسجد وسيف ، دولة وقوة ، وهو بهذا صاغ النفس الإنسانية صياغة جديدة ، فجعلها موحدة لله معتزة بدينها ساعية لنشر مبادىء الإسلام في أدنى الأرض وأعلاها ، في مغربها ومشرقها « لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » [2]

---

(١) في سبيل اعادة كتابة تاريخ الاسلام للاستاذ أنور الجندي ص ١٠ .

(٢) حديث شريف انظر الجامع الصغير

وللغة العربية لغة الإسلام هي اللغة المحببة الى قلوب المسلمين جميعا ، ـ عربيهم وأعجميهم ـ لأنها لغة العقيدة والتوحيد ، بها نزل القرآن الكريم وبها خاطب الوحي محمدا رسول الله ـ ﷺ ـ وبها نودي الانسان ، بانسانيته (يا أيها الانسان) (يا أيها الناس) (يا بني آدم) ليذكره بأصله الكريم السوي ، وبها تحدث رسول الله ﷺ ، وهي لغة الأذان والإقامة والصلاة والنسك وسائر الشعائر الإسلامية ، وهي التي تربط بين قلوب المسلمين ، فبظلها يجتمعون ، وبها يتعارفون ويتوحدون ، وأكرم بها من لغة . وما كان الإمامان البخاري ومسلم ـ نضر الله وجهيهما ـ شيخي أهل السنة والجماعة إلا لأنهما جمعا ما صح عن رسول الله ﷺ من قول وفعل وتقرير ، وإلا لأنهما حفظا للغة العربية هذا الأصل البلاغي العظيم ، وللشريعة هذا النبع الصافي الزلال .

يقول الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى ـ : (. . . . فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان ، بل هي لغة المسلمين كافة ، وما خدم الإسلام أحد من غير العرب الا بقدر حظهم من لغته ، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبويه الفارسي النسب وأستاذه الخليل العربي في فضلهما واجتهادهما في اللغة ، ولا بين البخاري الفارسي واستاذه أحمد بن حنبل العربي في خدمة السنة ولا نعرف أحدا من علماء الأعاجم له حظ في خدمة الإسلام وهو يجهل لغته ، ولولا أن ظل علماء الدين في جميع الشعوب الإسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر باسلوبه العربي . وأذكار الصلاة ، وغيرها بالعربية ، ومدارسة التفسير والحديث بالعربية لضاع الإسلام منها)[1] .

ويقول أيضا : (إن اللغة رابطة من روابط الجنس ، وقد حرم الإسلام التعصب للجنس ، لأنه مفرق للأمة ، ذاهب بالاعتصام والوحدة ، واضع للعداوة موضع الألفة ، وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام ، لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها ، وهي قد حفظت به ، فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات ، وكما كان يعروها التغير من قبله ، ولولاها لتباعدت الأفهام في فهمه ، ولصار أديانا يكفر أهلها

---

(١) نقلا عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١ / ٦١) .

بعضهم بعضا ولا يجدون أصلا جامعا يتحاكمون إليه إذا رجعوا إلى الحق وتركوا الهوى)[1]

وعلى هذا ، فكلما قوي تمسك المسلمين بعقيدتهم ، وازداد شعورهم بالولاء لأمتهم ، واشتد اعتزازهم بلغتهم التي هي جزء من عقيدتهم ، ورفعوا راية التوحيد عالياً ، ودعوا بدعوة القرآن والسنة ، وازداد ترابطهم الاجتماعي وقويت صلتهم بماضيهم المجيد وتاريخهم الكريم وتراثهم الجميل ، كلما هابهم العدو وحسب لهم ألف حساب وتبددت مطامعه فيهم ، وخنست رغبته في تشتيت شملهم ، أو امتلاك أراضيهم أو استغلال خيراتهم ، أو التغلب عليهم ، وراح يطلب ودهم ولينهم ، مظهرا صداقته لهم واحترامه لوحدتهم وقوتهم .

وعلى العكس من ذلك كلما ضعف أثر العقيدة الإسلامية في النفوس وقل حماسهم للدعوة الإسلامية ، وتخلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وركنوا الى الحياة الدنيا وزينتها . . قلت الحصانة التي تكونت لدى المسلمين ضد هذه الانحرافات . . ووقعت بينهم فتنة تشتت الشمل بدعوى القومية أو العلمانية . . أو الشرقية أو الغربية . . وبذلك يساعدون العدو على استلاب ممتلكاتهم ، واستغلال خيراتهم . .

كيف دخلت القومية إلى البلاد الإسلامية :

من البدهيات التي لا تحتاج الى استدلال مسألة عالمية الإسلام وإنسانيته ، ذلك لأنه هو الدين الذي جاء ليحرر البشرية من الانحرافات والضلالات والوثنيات المنتشرة سابقا ، وليدفعها إلى المستوى اللائق بالعقليات الإنسانية البناءة المتحضرة ، ولم يكن الإسلام في يوم ما خاصا بقبيلة أو جنس أو عصبية ، وإنما هو دعوة عامة إنسانية ، وهو لهذه الميزة التي ينفرد بها يكره دعوة التعصب للجنس أو للون أو للقبيلة ، لأنها ـ في حقيقة الأمر ـ دعوات تفتت من كيان الأمة ، وتبدد قواها ، وتبعثر طاقاتها ، وتقف حائلا دون كل تقدم ونمو حضاري وثاب ، ووجود فئة في البلاد الإسلامية تدعو للتجمع القومي أو العصبي وجود طارىء غير أصيل ،

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢ / ٦٠ وما بعدها) .

ومدفوع غير واع ، ومغرض غير نزيه ، وإن دعوة التعصب للجنسية دعوة غريبة عن المبادىء الإسلامية وعن البلاد الإسلامية ، ووافدة إليها من البلاد الأوربية .

لقد نشأت دعوة التعصب للجنس أول ما نشأت في بلاد أوربا في القرن التاسع عشر ، واشتد دبيبها ، وبلغ أثرها إلى كل الأمزجة حتى أصبحت عاملا قوياً من عوامل التغيير والانقلاب في القارة الأوربية ، ولم يقتصر أثرها على موطن نشوئها وإنما انتشر وامتد إلى كل أنحاء المعمورة حتى غدا أكبر عامل في تطور الأمة ومصيرها [1] .

ويحدثنا التاريخ أن فكرة القومية قد دخلت الى البلاد الإسلامية عن طريق جماعة الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة ، وكانا حزبين يتعاونان مع اليهود ، ويعملان على تنفيذ خططهم الماكرة الحاقدة ، وقد تأكد لدى المسلمين أن قادة الاتحاد والترقي جميعا من اليهود من غير استثناء ، وإن أعضاء هذا الحزب كلهم من يهود سالونيك ، وعلى هذا فإن اليهود هم الذين سعوا جادين لإثارة النزعة الطورانية ، والدعوة لها بشتى الوسائل والعمل على إحياء التاريخ الجاهلي المفضل عن التاريخ الاسلامي والأدب القومي والتراث الطوراني .

جاء في منشور لاحدى الجمعيات التركية الطورانية : (إن هذه البدعة الخيالية المخيفة التي يسمونها الأمة الإسلامية التي ظلت إلى أمد طويل سدا يحول دون التقدم بوجه عام ودون تحقيق الوحدة الطورانية بوجه خاص هي في طريقها الآن إلى التفكك والزوال) [2] .

وقد أتمت المؤامرة اليهودية عملها في إثارة النزعة الطورانية ، والدعوة الى تبني سياسة التتريك ، ودمج العناصر الحكومية في القومية التركية وفرض اللغة التركية عليها ، وإبعاد اللغة العربية عن المجالات الرسمية . . وكانت الدولة العثمانية تجمع قوميات متعددة مؤتلفة معها بسبب عقيدة التوحيد ، فإذا أبعد الدين الإسلامي وظهرت النزعة التركية العلمانية ، وأبعدت لغة القرآن الكريم عن المكاتبات الحكومية ، لم يبق رباط جامع يربط بين تلك القوميات المتعددة وبين

---

(١) حاضر العالم الإسلامي . ص ٢١٣

(٢) معالم الثقافة الاسلامية ص ١٤٢ .

القومية التركية . لأن العقيدة وحدها هي التي توحد بين صفوف المسلمين ، فإذا فقدت العقيدة زالت معالم التجمع الإسلامي .

ومن ثم سرت عدوى القوميات إلى كل الأجناس الخاضعة للحكم العثماني ، وطالبت بالانفصال عن الأم إذ لم تخضع لها إلا من أجل العقيدة والشريعة التي يدين بها كل مسلم ، وقد أبعدت عنها الإسلام فلم يبق ما يدعو للاستمرار في الخضوع لحكم علماني غير إسلامي ، أو للانصهار في بوتقة الدين . وعلى هذا دعت كل جماعة لإحياء قوميتها ، إذ كل فئة لا تريد أن تذوب في جنسية غيرها ، لأن الجنسية خاصة وليست عامة . وهذا هو الفرق الجوهري بين القومية والإسلام .

وعلى أثر ذلك نادى الأكراد بقوميتهم ونادى العرب بقوميتهم ، ولا يخفي على أحد التعاون الصليبي اليهودي ، في إثارة هذه الفتن ، وفي تفتيت الأمة الإسلامية ، وفي التخطيط للاستيلاء على املاك (الامبراطورية العثمانية) .

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان : (وقد شجع على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية عدد من الدول التي كانت تطمع في احتلال الشرق الإسلامي وعلى رأسها بريطانيا ، وفي مذكرات آغاخان فصل عن ضباط بريطانيا السياسيين الذين شجعوا الحركة القومية العربية للوقوف أمام فكرة الدولة الإسلامية .

أما (لورنس) منفذ سياسة بريطانيا آنذاك فيقول مصورا ذلك الهدف في كتابه (أعمدة الحكمة) : (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج ، وأتساءل هل تغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ، وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني ، وبمعنى أوضح هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحي والإلهام وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني ، هذا ما كان يجول في خاطري طوال الطريق) .

ومعلوم أن الثورة على الأتراك قامت بتأييد بريطانيا ودعمها الأدبي والمادي ودعم حليفتها فرنسا ، وقد ثبت أن عددا من الزعماء كانوا متصلين بالقنصليات الأجنبية لتلقي هذا الدعم)[1] .

---

(١) معالم الثقافة الاسلامية ص ١٤٤ .

وليس للمسلمين بعد هذا كله من عذر يعتذرون به لتمهيد الطريق أمام دعوة القومية أو إثارة هذه النزعة التي من شأنها تفتيت كيان الأمة وتمزيق وحدتها وجعلها دويلات ضعيفة يسهل للعدو التآمر عليها وغزوها في عقر دارها وتملك ينابيع ثروتها وتشتيت أبنائها ، كما فعل في فلسطين وكما يفعل بالأفغان اليوم والله المستعان وعليه التكلان .